دكتور
حسن أحمد الكبير

فى رحاب الهدى النبوى

دراسة وتحليل
لمجموعة من الأحاديث الشريفة

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذى نزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على صاحب السيرة العطرة الذى أرسله الله هدى ونوراً للعالمين ، فكان الرحمة المهداة لبنى البشر أجمعين .

وبعد :

فمع ذكرى مولد رسول البشرية العطرة ، وإشراقات النبوة الهادية ، يطيب لنا أن نعيش مع المائدة المحمدية أطيب الأوقات ، نتدارس فيها بعض جوانب سيرة الرسول الأعظم ، وسنته الشريفة ، لنقف على جانب من المثل والقيم الرفيعة ، والمنهج الإسلامى الأمثل فى الأخلاق والعلاقات الاجتماعية والحياة الأسرية ، والمعاملات الاقتصادية والسياسية ، وكل ما من شأنه الارتقاء بحياة الفرد ، والنهوض بالجماعة فى شتى مناحى الحياة لنأخذ من ذلك كله الزاد الذى يعيننا على السير فى طريق يحقق لنا حياة حرة كريمة ، يرضى عنها الله ورسوله ، فتتحقق لنا سعادة الدارين ، ونحظى بخيرى الدنيا والآخرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وقد اتجهت هذه الدراسة إلى مجموعة من الأحاديث الشريفة التى تتناول الحياة الاجتماعية والتربية الإسلامية الحقة مما يمس حياتنا الحاضرة ، ويتلاقى مع متطلبات عصرنا ونراه يعكس أمام شباب اليوم صورة الإنسان المسلم ،

ويضع أمام ناظريه المسلك القويم فى التعامل مع الآخرين ، وكيفية التغلب على المشكلات التى تواجهه ، من منظور إسلامى ، بعيداً عن الاهتزازات النفسية أو التردى فى مهاوى الشيطان وغير ذلك مما تدفع به النظرة القاصرة ، والنزوات العابرة ، والحرص على تحقيق الكسب السريع الذى قد يكون فيه هلاك الفرد وتدمير حياته كلها .

والدراسة لهذه المجموعة من الهدى النبوى تتجه إلى دراسة الحديث الشريف دراسة أدبية تحليلية . فبعد أن تعرف براوى الحديث وتوضح معجمه اللغوى وتشرح ما فيه من دقائق لغوية ، تعرض لتحليل القول المأثور فتتعرف على جوانب الإبداع الأدبى فى ألفاظه وأساليبه وصوره ومعانيه : من دقة فى التعبير ، وإيحاءات لفظية ، وبلاغة فى القول ، وصور تعبيرية حقيقية كانت أو مجازية ، وإشارات بليغة ، ومعان دقيقة . كما تعنى ببيان المعنى العام للحديث وما يهدف إليه من توجيهات وإرشادات نافعة .

وإنى إذ أتوجه إلى الله العلى القدير أن ينفع بهذا العمل ، لآمل أن يكون ثواب ما قدمت فيه من جهد رضاً من الله ومغفرة وأن يحتسبه فى ميزان أعمالنا الصالحة كى ننال بها شفاعة المصطفى ﷺ ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والله الموفق والهادى إلى أقوم طريق .

المعادى الجديدة :

فى مساء الجمعة : ٥ من صفر سنة ١٤٠٧ هـ
الموافق ٩ / ١٠ /١٩٨٦ م

أ . د / حسن أحمد الكبير
عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق

الحديث الأول

الحياء :

عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

رواه البخارى

راوى الحديث :

إسمه : عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة . وقد اشتهر بكنيته « أبو مسعود » ولم يشهد بدراً ، وإنما سكن بدراً وشهد بيعة العقبة الثانية وكان أحدث من شهدها سناً . وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد . وقد سكن الكوفة وكان من أصحاب على بن أبى طالب ، واستخلفه علىّ على الكوفة لما سار إلى صفين . وكان من رواة الحديث المشهورين . وروى عنه جمع من الصحابة ، وقد روى عن رسول الله ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل ، فإن كانوا فى القراءة سواء ، فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا فى العلم بالسنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا فى الهجرة سواء فأكبرهم سناً ، ولا يؤم رجل فى بيته ولا فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته [1] إلا بإذنه » . وقد اختلف فى وقت وفاته فقيل

---

(١) التكرمة : الموضع المعد لجلوس الشخص من فراش أو غيره مما يعد لإكرامه .

توفى سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ، ومنهم من يقول سنة ستين من الهجرة [1] .

المفردات : -

أدرك : أدركه : لحقه ، والدرك - بفتح الراء - الإدراك واللحاق .

النبوة : سفارة بين الله وبين ذوى العقول من عباده لإزاحة علتهم فى أمر معادهم ومعاشهم .

كلام النبوة الأولى :

المراد ما اتفق الأنبياء عليه ، ولم ينسخ كما نسخت شرائعهم لأنه أمر طابقت عليه العقول ، والمراد بالأولى أى التى قبل نبينا محمد ﷺ .

تستحى : الحياء : قيل هو خلق يبعث على فعل الشىء الحسن وترك القبيح من الأمور . وقيل هو انقباض النفس خشية ارتكاب المكروه ، وقيل هو خوف الإنسان من الذم بنسبة الشر إليه . وقال الزمخشرى : هو تغيير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم .

اللغويات:

الناس : بالرفع - فاعل للفعل « أدرك » ويكون العائد على « ما » محذوف تقديره « أدركه » . ويجوز النصب ، أى مما بلغ الناس ، والعائد ضمير الفاعل . أى أن الفاعل مستتر تقديره « هو » يعود على « ما » وهى بمعنى الذى . إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت: جملة شرطية وجب اقتران جواب الشرط بالفاء فيها

---

(١) راجع : أسد الغابة فى معرفة الصحابة : ٥٧/٤ ، ٦٠ / ٨٦ مطبعة الشعب

لأنه جملة طلبية « اصنع » . والفعل تستحى مضارع مجزوم بحذف حرف العلة (الياء) ثم أسند إلى ياء المخاطب . وأصله قبل دخول الجزم عليه « تستحي » .

التعبير البلاغى :

بدأ الحديث بمؤكد « إن » لغرابة الخبر الذى يتحدث به على المتلقين من وجهة نظرهم إذ الخبر قديم والتقاء الرسالات عليه غير متوقع لدى السامع ، ولذلك نزل السامعين منزلة المترددين أو المنكرين فأكد الخبر ليدفع هذا التردد ويثبته فى النفوس .

فاصنع ما شئت : الأمر هنا للإباحة . ومعناه إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحى إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا فدعه . وقد يراد بالأمر التهديد . أى اصنع ما شئت فإن الله يجزيك على ما تفعله . وقيل هو أمر بمعنى الخبر . أى من لا يستحى يصنع ما يشاء ويقترف ما يريده . والحكمة فى التعبير بلفظ الأمر دون الخبر فى الحديث - كما يقول الخطابى - إن الذى يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء ، فإذا صار كالمأمور طبعاً بارتكاب كل شر .

مع أسلوب الحديث :—

فى هذا الحديث أمران يريد الرسول ﷺ أن ينبه عليهما : أولهما أن بين الشرائع السماوية مبادىء عامة تشترك فى الدعوة إليها كالوحدانية وقدرة الله ووجوب طاعته . وثانيهما أن الطيب من الأعمال والأفعال هو ما لا تستحى النفس من الاتصاف به والتحدث به .

وفى بيان الرسول ﷺ لقيمة الحياء للناس وإقناعهم بفضله وجدواه استعمل الفعل « أدرك » مسند إلى الناس حتى يشعرهم بأنهم لحقوا بلحاقه خيراً

كثيراً . إذ أن الشيء المدرك شيء عزيز يسعى الجميع للحاق به ، وزاد هذا بأن جعله من كلام النبوة الأولى ، وفى ذلك إغراء به من جانبين : الأول عراقته وإرثه ، إذ من المركوز فى الطباع حرص الناس على الحكمة الموروثة ذات الطابع العريق الذى التقت عليه الأجيال وآمنت بما تحتويه وما تدعو إليه . والثانى : أن مصدر هذه الحكمة العريقة هم الأنبياء ، وهم فى نظر الجميع - وخاصة المسلمين - يصدرون فيما يقولون عن رب العزة ، ولذلك كان قولهم مبادىء وتعاليم يحرص الناس جميعاً على الخضوع لها والتمسك بها .

وما أدركه الناس ولحقوا به من كلام النبوة الأولى : « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » وإذا هنا أداة شرط تفيد توقع الاستهتار من غير الحيي بخلاف مالو استعمل « إن » مكانها فإنه لا يفيد ذلك . ولفظ : اصنع أدق فى الدلالة على معنى القصد بخلاف ما لو استعمل كلمة « اعمل » أو « افعل » حيث إن الصنع أدق فى التعبير وأخص المعانى الثلاثة - كما بينه أكثر من واحد من اللغويين - إذ الصنع يكون من الإنسان دون غيره ، ويكون بإجادة وعن ترتيب وإحكام لما تقدم العلم به ليوصل إلى غاية مرادة منه .

أما العمل فيكون من الإنسان والحيوان ، ويكون بقصد وعلم ، وأما الفعل فهو أعم ؛ إذ يكون من الإنسان والحيوان والجماد ، ويكون بإجادة وبدونها ، ويكون بقصد وبلا قصد [1] ولذلك كان استعمال كلمة « اصنع » أوضح فى الدلالة على الإباحة دون التهديد أو الخبر ، إذ ليس يخطر ببال أحد أن النبى ﷺ يتهدد من يجيد فى عمله ، أو أنه ينفى الجودة فى العمل على عدم الحياء ، وإنما يتأكد أنه ينصح بالقصد إلى الأعمال والإجادة فيها عندما

---

(١) راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم .

لا يكون فيها ما لا تستحي منه ويكون معنى الحديث : إنك إذا لم تستحي من الله من شيء يجب ألا تستحي منه من أمر الدين فافعله ولا تبال بالخلق ، فإن أريد من لفظ « اصنع » مجرد العمل جاز حينئذ أن يفهم التهديد ويفهم الخبر ، كما تجوز الإباحة أيضاً دون إرشاد إلى شيء في العمل المصنوع .

حول معنى الحديث : —

يشير الرسول ﷺ بقوله : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى » إلى أن الإنسان منذ خلقه الله أرسل إليه النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ، فكان فيه الحكم البالغة ، والنصائح القيمة ، وكان منها ما سار في الناس مسير الأمثال ، فبقي على مر الحقب والأجيال حتى وصل إلى أول هذه الأمة ، ومنها ذلك القول الكريم : (إذا لم تستحي فاصنع ما شئت) .

ومما لا شك فيه أن الحياء صفة حميدة في الإنسان ، وخلق كريم يتخلق به المؤمن .

وإذا كان الحياء خلقاً وجبلة يمنحها الله العبد ويجبله عليها ، ككثير من الطبائع الأخرى كالخير والشر فإنه من الصفات التي ينميها الإنسان ويتعهدها بالرعاية حتى تكون خلقاً وعادة له ، وهي مرتبطة ارتباطاً عظيماً ببيئته ومجتمعه الذي يعيش فيه : فالبيئة الصالحة بعاداتها وتقاليدها ومثلها وقيمها تنمي هذه الخصلة في الإنسان وتدفع به إلى تقويم سلوكه كي يتعامل مع الناس بما ألفوه واستراحوا له ، يبتعد عما ضاقوا به ونبذوه .

أما المجتمع الذى يتساهل فى قيمه ويتبعد عن تعاليم الدين الحنيف وينأى بسلوكه وعاداته عن الطريق السوى فإنه يدعو إلى التحلل والانحراف، والاستهانة بالقيم والأعراف، فتموت صفة الحياء فى النفس ويحل محلها الجرأة على الله وعلى الناس، والاستجابة لدواعى الهوى والغرائز، والاستسلام لضعف النفوس، بل والتبجح والاستهتار فى كل ما يفعل أو يقال. فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزى لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة، فصار كأنه لا إيمان له. ومن هنا كان التوجيه النبوى الكريم: «إذا لم تستحى فاصنع ما شئت».

فالرسول هنا يدعونا إلى أن ننمى فى أنفسنا ذلك الخلق الذى فطرنا الله عليه وهو الحياء، وأن نرعاه ونتعهده حتى يصبح خصلة من خصال الإنسان المؤمن وذلك بالارتباط بتعاليم الشريعة السمحة، والالتزام بما جاءت به، والبعد عما نهت عنه. وأعلى درجات الحياء ما كان ناشئاً عن الشعور برقابة الله، وعظم حقه عليه، فإن هذا يقيم المرء على صراط الحق، لا يلتوى عنه يمنة أو يسرة.

فى حديث عبدالله بن مسعود عن الترمذى أن النبى ﷺ قال: «استحيوا من الله حق الحياء، قلنا إنا نستحيى من الله يا رسول الله، والحمد لله، قال: ليس ذلك. ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء».

وإذا عرفنا ذلك فإنه لا يخفى علينا أهمية الحياء فى حياة الفرد والمجتمع، وضرورة الحفاظ عليه فى معاملاتنا وسلوكنا — فهو لا شك خلق محمود لا ينتج إلا خيراً، فهو يحول بين المرء والقبائح، ويمنعه من كل ما يعاب

به ويذم . والحياء وازع نفسي عند أصـــحاب الضمائر يدعوهم إلى البعد عن الفواحش والوقوع فى الدنايا ، فالذى يمر بفـكره فعل الفاحشة فيمنعه حياؤه من اقترافها ، أو يسبه شخص فيمنعه الحياء من مقابلة السيئة بمثلها ، أو يسأله سائل فيحول حياؤه دون رده رداً جميلا ، أو يضمه مجلس فيمسك الحياء لسانه عن الكلام إلا فيما يعنيه ، أو الخوض فيما لا يجيده . هذا الشخص صاحب خلق حميد ، وهو فى طاعة الله ورضوانه .

وإذا كان هذا هو خلق أفراد المجتمع ، فلنا أن نتصور ما يعود على هذا المجتمع من الخير العميم ، والفضل العظيم . فالمجتمع فى طاعة الله يلتزمون بأوامره ، وينفذون تعاليمه ، ويحرصون على أن يقوم مجتمعهم على دعائم الشريعة السمحة يقاومون نزعات النفس الأمارة بالسوء ، وينتصرون على مغرياتها بل ويعملون على الوقوف أمام هذه المغريات ، ويحمون المجتمع من فسادها وأوضارها . فهم قد خرجوا من سلطان نفوسهم إلى طاعة الله ، والعمل بما يرضاه ، فكانوا المؤمنين حقاً ، وكانوا فى أعلى درجات البر والفلاح .

فعن أبى مالك الأشعرى قال : « قلت يا رسول الله ما تمام البر ؟ . قال : أن تعمل فى السر عمل العلانية » . وكانوا فى خير دائم كما قال رسول الله ﷺ : « الحياء خير كله » . وكما قال : « الحياء لا يأتى إلا بخير » .

ومن وجهة أخرى . فإن الحياء قوة فى الحق ، وشجاعة تقاوم نزوات النفس فى داخلها وتنتصر على مغرياتها . وهو إلى جانب ذلك سلوك يرفض الشر فى كل صوره وأوضاعه ، ويثور على الباطل فى شـــتى بقاعه ، ويواجه السلبيات فى كل أشكالها

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين الحياء والضعف حين يسكت صاحبه أمام خبائث الحياة ، وانحرافات المنحرفين لا يستطيع مقاومتها ، ولا يقدر على

نكرانها ، وهو كذلك خور فى داخل النفس يجعلها تستجيب لكل نوازعها دون إمكان السيطرة عليها ، أو منعها من شىء مما تريد .

فليس من أثر الحياء قعودك عن مواجهة من يرتكب إثماً ، ولا عدم مطالبتك بحقك ، ولا تركك السؤال لأستاذك عن مسألة خفيت عليك ، أو ترى منها غير ما يرى . خجلا منه أو من زملائك أو خشية أن تكون غير موفق فى رأيك ، ولا تركك القول الحق فى مجلس حاد عن الصواب والتبس فيه الخير بالشر ، ولا تقاعسك عن نصرة مظلوم تعرف حقه وتتأكد من ظلم الآخرين له .

كل ذلك وغيره ليس من أثر الحياء المحمود ، وإنما هو من أثر العجز والمهانة ، والجبن والضعف وليس هذا خلق الإنسان المسلم .

وما نعيشه الآن من سلبيات أمام تفشى الرذائل ، وتنوع الانحرافات ، وانتشار الأمراض الاجتماعية من غش ، وخداع وكذب ونفاق ، ووصولية ممقوتة إنما بسبب عدم الحياء فينا . حيث فقدنا قوة الإيمان الدافعة إلى مواجهة السوء ، ومقاومة المنكر . وقد ساعد على ذلك ضعف العمل على التربية الإسلامية وعدم التزام المجتمع بالقواعد الأخلاقية الكريمة ، والتساهل فى تنفيذ الأحكام على الخارجين على القيم والمبادىء الإنسانية الكريمة وإهمال وسائل الأعلام التربية الإسلامية الراشدة . وإحلال التثقيف الجنسى واللهو المحرم مكانها ، بل وإبعاد كل ما من شأنه تقويم الشباب وتوجيههم الوجهة الدينية من وسائل التربية والتثقيف والإعلام . سواء أكانت صحفاً أم مجلات أم إذاعة مسموعة أو مرئية . بل إننا لندهش أمام هذا السيل من الثقافة المستوردة ، والأفلام الهابطة ، والمسلسلات التى تثير الغرائز وتهدم القيم والمثل ، وكأننا — للأسف — فى مجتمع لم يعد يقيم للأخلاق وزناً أو يأبه بالكرامة التى هى أساس عزة الإنسان ومجده .

وبذلك ابتعدنا عن الإسلام كثيراً. فعن ابن عباس قال: «الحياء والإيمان فى قرن، فإذا نزع الحياء تبعه الآخر».

وعن سلمان الفارسى قال: «إن الله إذا أراد بعبد هلاكا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا كان مقيتاً ممقتاً نزع منه الأمانة فلم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا كان خائناً مخوناً، نزع منه الرحمة فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان فظاً غليظاً نزع ربقة الإيمان من عنقه، فإذا نزع ربقة الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطاناً لعينا ملعنا».

ويبقى لنا أن نقف مع الحديث الشريف فى مدلوله ومعناه العام: «إذا لم تستحى فاصنع ما شئت»، قال قوم إنه أمر بفعل ما يشاء على ظاهر أمره، وأن المعنى إذا كان الذى يريد فعله مما لا تستحى من فعله لا من الله، ولا من الناس لكونه من أفعال الطاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة فاصنع منه حينئذ ما شئت — وهذا قول جماعة من الأئمة منهم إسحاق المروزى الشافعى، وحكى مثله عن الإمام أحمد ووقع كذلك فى بعض نسخ مسائل أبى داود المختصر عنه[1].

أى أن الإنسان إذا كان فى فعله آمناً من أن يستحى منه لجريانه فيه على الحق والصواب فليفعل ما بداله ولا يتردد أو يتقاعس، لأن إنفاذ الأمور الصالحة والمفيدة أمر واجب على المسلم بل إنه من الفضائل التى تعصم من شرور كثيرة، ومن التورط فى أشياء قد لا تحمد مغبتها، فبفضله ينأى الإنسان بنفسه عن مخاطر الشبهات، لأنه يرى فيها ما يثير حوله من الشائعات ما يؤذى سمعته، وينال من كرامته، وبفضله يتورع عن الكذب فى حديث،

---

(١) راجع: جامع العلوم والحكم ص ١٧٦ ط: دار الفكر.

أو أن يغدر بعهد أو يخلف وعداً . ولذلك لما سئل بعض السلف عن المروءة قال : « أن لا تعمل فى السر شيئاً تستحى منه فى العلانية » .

وعلى هذا المعنى مدح الرسول ﷺ نساء الأنصار حيث روى عن السيدة عائشة قالت : « رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن ، وأن يتفقهن فى الدين » . كما روى البخارى عن أم سلمة أنها قالت : « جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت ؟ فقال : نعم إذا رأت الماء » . ويروى أيضاً عن أنس قال : « جاءت امرأة إلى النبى ﷺ تعرض عليه نفسها فقالت : هل لك حاجة فىّ ؟ تريد الزواج به — فقالت ابنته : ما أقل حياءها . فقال : هى خير منك — عرضت على رسول الله نفسها » .

وقال آخرون : إن الأمر هنا ليس على معنى الأمر أن يصنع ما يشاء ولكنه على معنى الذم والنهى عنه ولهم فى بيان ذلك طريقان :

الأول : أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد ، والمعنى : إذا لم يكن حياء فاعمل ما شئت فإن الله مجازيك على كل ما تفعل وذلك كقوله تعالى : « اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير » . وقوله : « فاعبدوا ما شئتم من دونه » ، وكأن النبى ﷺ يقول لهم : ما دمتم قد فقدتم الحياء ولم تعودوا تحسون بخزى ما تفعلون من آثام وفحش ، أو ما دام إحساسكم قد تبلد فلم يعد يبالى شيئاً ، أو يستشعر ندما على خطيئة فافعلوا ما تشاءون من شر ومعاصى وسيعاقبكم الله عليها .

الثانى : أنه أمر ومعناه الخبر . والمعنى أن من لم يستحى صنع ما شاء . إذ المانع من فعل القبائح هو الحياء ، فمن لم يكن له حياء انهمك فى كل فحشاء ومنكر ، وما يمتنع من مثله من له حياء . وذلك على حد قول الرسول ﷺ :

ـه من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . وهذا اختيار أبى عبيدة ، والقاسم بن سلام وابن قتيبة ، ومحمد بن نصر المروزى وغيرهم[١] .

والقول الأول أرجح وإن لم يمنع ذلك من إرادة الرأى الثانى بمعنييه المذكورين .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ الحياء مصدر الخير كله .

٢ ـ الشرائع السماوية كلها تدعو إلى توحيد الله وطاعته وتتفق على أن الحياء أصل الفضائل كلها .

٣ ـ الحياء يخالف العجز والضعف : إذ الحياء قوة فى الحق وخلق الإنسان المؤمن . أما العجز والضعف فهما جبن وخجل غير محمودين .

٤ ـ يقرر الحديث النبوى الشريف أن لا حياء فى الدين ولا فى العلم وكل من يسكته الحياء عن السؤال عما لا يعلم أو ما يفيده فى دينه ودنياه ولو كان مما يكنى عنه ولا يستحب التصريح به ، فهو بعيد عن خلق الإنسان المسلم ، جاهل بتعاليم دينه .

٥ ـ رأس الإيمان الحياء من الله . فهو الذى يقى النفوس من الوقوع فى الآثام ، ويدفع بها إلى الطريق السوى والالتزام بشرع الله ، فيسعد الفرد ويهنأ المجتمع ويرقى .

---

(١) راجع جامع العلوم والحكم ص ١٧٤ ط دار الفكر .

الحديث الثانى

صفات المنافق :

عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال : أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » .

رواه البخارى (١)

كما رواه مسلم ولفظه : عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها : « إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر » (٢) .

راوى الحديث :

هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، أسلم قبل أبيه ، وكان فاضلا عالماً . قرأ القرآن والكتب المتقدمة ، واستأذن النبى ﷺ فى أن يكتب عنه فأذن له ، فقال يا رسول : أكتب ما أسمع فى الرضا والغضب ؟ قال (نعم) فإنى لا أقول إلا حقاً : قال أبو هريرة عنه : ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ

---

(١) راجع فتح البارى ١ / ٨٩ دار المعرفة ، وعمدة القارى ١ / ٢٢٢ دار الفكر — بيروت .

(٢) راجع صحيح مسلم ٢/٤٦ الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربى .

منى إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب . وقال عن نفسه حفظت عن النبى ﷺ : ألف مثل .

شهد مع أبيه فتح الشام ، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك ، وشهد معه أيضا صفين ، وكان على الميمنة - قال أبوه : يا عبد الله اخرج - فقاتل . فقال يا أبتاه أتأمرنى أن أخرج فأقاتل ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يعهد إلىّ ماعهد؟ قال : إنى أنشدك الله يا عبد الله ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله ﷺ أن أخذ بيدك فوضعها فى يدى وقال : أطع أباك ؟ قال : اللهم بلى . قال : فإنى أعزم عليك أن تخرج فتقاتل فخرج وقاتل وتقلد سيفين ، وندم بعد ذلك ، فكان يقول : مالى ولصفين ، مالى ولقتال المسلمين ، لوددت أنى مت قبله بعشرين سنة ، وقيل إنه شهدها بأمر أبيه له ، ولم يقاتل . وقد اختلف فى تاريخ وفاته . فقيل توفى سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة خمس وستين ، وقيل سنة خمس وخمسين بالطائف وقيل غير ذلك . وكان عمره اثنتين وسبعين سنة . وقيل اثنتان وتسعون (١) .

رواية الحديث :

عقد مسلم بابا لبيان خصال المنافق روى فيه الحديث موضوع هذه الدراسة أولا على هذا النحو : (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر) .

ثم أتبعه بالحديث التالى : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) راجع أسد الغابة ٢٤٩/٣ الشعب ، وعمدة القارى ١٣١/١

قال : آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، . كما أتبعه بحديث ثالث عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من علامات المنافق ثلاثة : « إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان »[١]

أما البخارى فقد روى تحت باب « علامات المنافق » حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » . ثم روى الحديث موضوع هذه الدراسة[٢]

وبذلك يجتمع لنا من هذه الأحاديث خمس خصال المنافق : أولاها أن يحدث بحديث لم يصدق به وهو كاذب له . وثانيها : إذا وعد أخلف . وثالثها : إذا خاصم فجر ، ورابعها إذا عاهد غدر ، وخامسها : إذا اؤتمن خان .

المفردات :

منافق : النفاق : مخالفة الباطن للظاهر كمن يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، أو يجهر بالخير ويضمر الشر ، وأصله من نافقاء اليربوع وهى إحدى جحريه يقال لها نافقاء ، وهو موضع يرققه بحيث إذا ضرب رأسه عليها ينشق وهو يكتمها ويظهر غيرها ، وإذا أتى الصائد إليه من قبل القاصعاء ، وهو جحره الظاهر الذى يقصع فيه أى يدخل ، ضرب برأسه النافقاء فانتفق أى خرج ،

---

(١) راجع صحيح مسلم بشرح النووى - دار إحياء التراث العربى بيروت ٢/٤٦

(٢) راجع عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى ١ / ٢١٨ ، ص ٢٢٢ دار الفكر بيروت .

فكما أن اليربوع يكتم النافقاء ويظهر القاصعاء ، فكذلك المنافق يكتم الكفر ويظهر الإيمان ، أو يدخل فى الشرع من باب ويخرج من باب آخر . والنفاق إن كان فى الاعتقاد فهو نفاق الكفر وإلا فهو نفاق العمل .

خالصاً : أى شديد الشبه بالمنافقين بهذه الخصال .

خصلة : خلة وصفة . عاهد : من المعاهدة وهى المحالفة والمواثقة . غدر : من الغدر وهو ترك الوفاء وعدم الالتزام بالعهود والمواثيق .

وعد : قال صاحب المحكم : يقال وعدته خيراً ، ووعدته شراً ، فإذا أسقطوا الفعل قالوا فى الخير : وعدته ، وفى الشر : واعدته ، المراد بالوعد فى هذا الحديث : الوعد بالخير .

فجر : تجاوز الحد فى خصومته فيؤذى خصمه بغير حق .

اللغويات : ـ

أربع : مبتدأ بتقدير أربع خصال فعرفت بالإضافة حتى يصح أن يبتدأ بها لأن النكرة لا يصح الابتداء بها .

من : موصولة متضمنة معنى الشرط مبنى على السكون فى محل رفع مبتدأ ثان .

كن فيه : كان واسمها ـ نون النسوة ـ وخبرها « فيه » والجملة صلة الموصول (من) .

كان منافقاً خالصاً : اسم كان ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على الضمير فى قوله « فيه » .

منافقا : خبرها منصوب بالفتحة الظاهرة .

خالصا : صفة لها منصوبة أيضا ، والجملة من كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر المبتدأ الثانى « من » ، والجملة من « من » الموصولة واسمها وخبرها فى محل رفع خبر المبتدأ الأول « أربع » .

ومن كانت فيه خصلة : من : مبتدأ موصولة . كانت فيه خصلة : جملة صلة لمن

منهن : أى من الأربع ، فالضمير فيها يعود إلى الأربع .

كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : الجملة من كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر المبتدأ « من » الموصولة .

حتى : حرف غاية ونصب .

يدعها : يدع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى . وها : ضمير فى محل نصب مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على « من » . إذا ائتمن خان : إذا ظرفية متضمنة معنى الشرط ، ائتمن فعل الشرط ، وجوابه خان . وباقى الجمل كذلك فى إعرابها .

التعبير البلاغى : —

« اللام » فى المنافق للجنس ، أى أن كل من اتصف بهذه الصفات أو بشىء منها يطلق عليه اسم المنافق ، وقيل إنها للعهد ، على أن الحديث ورد فى حق شخص معين ، أو فى حق المنافقين فى عهد رسول الله ﷺ .

والتعبير بإذا فى جانب الصفات التى اتصف بها المنافق يدل على تحقق الوقوع ، تنبيهاً إلى أن هذه عادة المنافق .

وحذف الفاعل فى تلك الجمل يدل على العموم ، وكذلك حذف المفعول فيها ، أى إذا حدث شخص ما فى كل شىء كذب فيه ، وكذا بقية الصفات .

وفى الحديث عطف للخاص على العام لأن الوعد نوع من التحديث ، وهو داخل فى قوله : « إذا حدث » ولكنه أفرده بالذكر معطوفاً تنبيهاً على زيادة قبحه على سبيل الادعاء كما فى عطف جبريل عليه السلام على الملائكة مع كونه داخلا فيهم تنبيهاً على زيادة شرفه .

مع أسلوب الحديث : ـ

هذا الحديث روى معه حديث مسلم : « آية المنافق ثلاث . . . »

وفى رواية له أيضاً : « وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » وفى رواية له أيضا : « من علامات المنافق ثلاث » . وبجمع هذه الروايات إلى بعضها يتبين لنا أنه لا تعارض بين هذه الروايات ، وأن تقييد العلامات بثلاث أو بأربع لا يراد بها الحصر ، وذلك لقوله ﷺ : « من علامات المنافق » فليس الغرض حصر علامات النفاق فإنها كثيرة ، كالفجور فى المخاصمة ، وإنما الغرض التنبيه إلى أصولها ، لأن أصل الديانة ينحصر فى ثلاثة أمور : القول ، والفعل ، والنية ، فنبه على فساد القول بالكذب ، وعلى فساد الفعل بالخيانة ، وعلى فساد النية بالخلف .

وقد اجتمع لنا من هذه الروايات خمس خصال هى : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، وهى فى حقيقة الأمر ترجع إلى ثلاث ، لأن معنى قوله : « إذا عاهد غدر » معنى قوله : « إذا ائتمن خان » لأن الغدر خيانة فيما ائتمن عليه من عهد .

كما أن قوله : إذا وعد أخلف . من قبيل عطف الخاص على العام حيث عطفه على : « إذا وعـــد أخلف » والوعـد نوع من التحـدث وهو داخل فيه .

كما يرى بعض العلماء أن هذا الحديث مشكل من حيث إن هذه الخصال قد توجد فى الإنسان المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره فقد توجد فى المسلم المصدق الذى ليس فيه شك ، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم بكفره ولا هو منافق يخلد فى النار ، فإن إخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال ، وكذا وجد لبعض السلف وللعلماء بعض هذا أو كله

قال النووى: وليس فيه إشكال ، بل معناه صحيح ، والذى قاله المحققون : إن معناه أن هذه خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين فى هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم لا أنه منافق حقيقة ، أى أن هذه التسمية محمولة على المجاز، فصاحب هذه الخصال كالمنافق ، إذ النفاق إظهار ما يبطن خلافه .

وهذا الجواب مبنى على أن المراد بالنفاق فى الحديث النفاق فى الإيمان ، ولكن هذا مردود بقول الرسول ﷺ فى الحديث «كان منافقا خالصا» . وأجيب بأن الظاهر غير مراد ، وإنما الغرض من ذلك المبالغة فى التحذير والتنفير من هذه الخصال بأبشع الطرق وأدعاها للتنفير منها .

ويرى القرطبى أن المراد بالنفاق هنا نفاق العمل لا نفاق العقيدة ، فنفاق العقيدة هى أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه . وهذا هو النفاق الذى كان موجوداً على عهد رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم ،

وأخبر أن أهله فى الدرك الأسفل من النار . أما نفاق العمل فهو الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه ، كأن يحدث الإنسان بحديث لم يصدق به وهو كاذب له ، أو يعد وفى نيته أنه لا يوفى بوعده ، أما إذا كان عازما على تحقيق وعده ، ثم بدا له رأى آخر فهذا لا توجد فيه صفة النفاق .

وقوله ﷺ : (خالصا) معناه أن الشخص أصبح شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال التى غلبت عليه حتى أصبحت طبعا وعادة له . أما من يندر منه ذلك فليس داخلا فيه كما هو المختار فى معنى الحديث .

حول معنى الحديث :ـ

من أخبث الأمراض النفسية وأدلها على الوضاعة والجبن والخسة أن يدعى الإنسان الإيمان وهو كافر ، أو يتظاهر بالصلاح وهو يضمر الشر ويتخذه خلقا له ، أو يزعم الأمانة وهو برىء منها ، أو يتباهى بالوفاء وخلقه الغدر ، أو يقسم على الصدق وهو كاذب مخادع .

فهذا هو النفاق الذى يرشدنا رسول الله ﷺ فى هذا الحديث إلى علاماته لنعيها وتتجنبها ، وليحذر المتصفون بها ويفيقوا من غفوتهم ، وليعى الغافلون عاقبة ذلك الانحراف الخلقى الذى يأباه الإسلام ويرفض أن يكون خلقا للإنسان المسلم .

والرسول ﷺ يقرر هنا أن علامات النفاق أربع خصال ، وإن وجدت فيه جميعها كان منافقا خالصا ـ أى شديد الشبه بالمنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان ـ ومن وجد فيه بعضها كان لديه من النفاق بقدر ما وجد فيه منها :

العلامة الأولى :

الخيانة : وهى تشمل الخيانة فى كل ما ائتمن عليه الإنسان من مال أو عرض أو حق ، فمن ائتمن على مال ولم يؤده كاملا إلى صاحبة فهو خائن ، بل إنهم قد فسروا الخيانة بأنها التصرف فى الأمانة بغير وجه شرعى كالتصرف فيها لحين ردها لصاحبها بدون إذنه ، أو التهاون فى حفظها بما يضرها أو ينقص من قيمتها .

ومن فشا أسرار الآخرين واستغلها للتشنيع عليهم أو النيل منهم فهو غادر خائن ، ومن أدلى بشهادة غير حقيقية فهو خائن لأمانة الكلمة ، ومن وكل إليه عمل فلم يؤده على الوجه الأكمل فهو خائن

فالمدرس الذى لا يؤدى واجبه نحو تلاميذه وطلاب العلم الذين وكل إليه التدريس لهم خائن ، والطبيب الذى تعهد بعلاج مريضه فلم يخلص فى علاجه فهو خائن ، والمحامى الذى عهد الناس إليه بقضاياهم لحاد عن الطريق وتقاعس عن أداء واجبه فى قضاياهم فهو خائن ، والمقاول الذى التزم بعمل وأهمل فيه أو غش أو تراخى فى أدائه فهو خائن .

والقاضى الذى لم يدرس قضاياه دراسة واعية مستفيضة يتبين منها وجه الحق فهو خائن .

والموظف إذا لم يؤد عمله المكلف به وأهمل فيه خائن .

والتاجر الذى يغش فى بضاعته أو يغالى فى أسعارها فهو خائن ، والعامل فى مصنعه إذا لم يبذل قصارى جهده فى إتقان عمله وأدائه على الوجه الأكمل فهو خائن .

بل إن الأمانة تشمل الشرائع التى جعلها الله فى يدنا أمانات نعلمها للناس ونقوم على حفظها بالعمل، ولذلك سمى الله سبحانه وتعالى مخالفة كتابه وسنة رسوله خيانة حيث قال: «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون[1]».

فالآية هنا نهى عن خيانة الله - عز وجل - أى تعطيل فرائضه وتعدى حدوده وانتهاك محارمه التى بينها لنا فى كتابه الكريم، كما تنهى عن خيانة الرسول ﷺ أى ترك سنته إلى غيرها من الأهواء والآراء الضالة. كما تنهى المؤمنين عن خيانة أماناتهم فيما بينهم وبين أولياء أمورهم من الشئون السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية وغيرها، وفيما بينهم بعضهم مع بعض من معاملات مادية واجتماعية وأدبية وخلقية.

وهذا الشمول فى مدلول الأمانة هو مراد الرسول ﷺ هنا.

فكل ما يجب حفظه من الحقوق المالية والمعنوية أمانة يجب على المؤمنين الوفاء بها، وعدم أداء هذه الحقوق - إذا صار عادة وطبعا - خيانة للأمانة تدل على النفاق، والمؤمن الذى ملأ الإيمان قلبه مطالب بأداء الأمانة على خير وجه. يقول الله تعالى: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»[2] ويقول المصطفى ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك». وقال فى خطبته فى حجة الوداع: «... من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها».

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٧.

(٢) سورة النساء الآية ٥٨.

العلامة الثانية :

الكذب : وهو أس النفاق والمدمر لكل المعانى الجميلة فى العلاقات الإنسانية . فإنه كما يقول الرسول : يهدى إلى الفجور . والعياذ بالله والفجور فى أصله مأخوذ من الفجر وهو شق الشىء شقاً واسعاً ، وهو فتق فى الدين .

فمن كان هذا خلقه فإنما قد مزق ثقة الناس فيه ، وفى الوقت ذاته مزق علاقات الناس بعضهم ببعض ، بل إنه ليشعل النار ويؤججها — بكلامه الكاذب الذى لا يستند على حقيقة — فى النفوس ، كما أنه يحكم على نفسه بالموت حيث إنه إذا اشتهر بين الناس بتلك الصفة اللعينة أهمله الناس واجتنبوه ، ولم يشركوه فى مشورة أو رأى ، بل استبعدوه من علاقاتهم جميعاً لأنه غاش لهم، محتقر بينهم .

فإن من جرؤ على الكذب حتى أصبح عادة له فقد أهان نفسه وأنزلها موضع الاحتقار فلم يعد أهلا للثقة .

وكيف يحترم الناس إنساناً لا يحترم نفسه ؟ وكيف يثق الناس فى إنسان لا ثقة له بنفسه ؟

ولذلك فإن الرسول الكريم قد بين لنا أن الصدق منبع كل الخير فقال : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

إن الكذاب - الذى أصبح الكذب عادة له - إنسان فقد جانباً عظيما من مقومات إنسانيته ، فلو أنه كان شجاعا لما أخفى الحقيقة ، ولو أنه كان أمينا

لما زور فى الأخبار ، ولو أنه كان عفيف النفس لترفع عن الاختلاق والادعاء الكاذب .

ومن أجل هذا كان الكذب علامة من علامات النفاق . لأن أساس النفاق : الضعف ، والجبن ، والذل ، وجميعها متحققة فى الكذاب الذى يستبيح الكذب ، ولا يتورع عن قول الزور ، وتضليل الناس واختلاق الأقوال

يقول الرسول ﷺ : « رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم . فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوّب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر ، فيمده فإذا مده رجع الآخر كما كان . فقلت للذى أقامنى ما هذا ؟ فقال : هذا رجل كذاب يعذب فى قبره إلى يوم القيامة »[1] .

وقال على رضى الله عنه : « أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة »[2] .

---

(١) الكلوب : - بتشديد اللام المضمومة - ويسمى المهماز وهو الحديدة التى على خف راكب الخيل يهمزها بها .

كاهله : الكاهل ما بين الكتفين ، وراجع الحديث فى كتاب إحياء علوم الدين للغزالى ٣/١٣٢ . دار إحياء الكتب العربية .

(٢) راجع إحياء علوم الدين للغزالى ٣ / ١٢٤ . دار إحياء الكتب العربية .

العلامة الثالثة :

الغدر : أى عدم الوفاء بالعهود التى قطعها الإنسان على نفسه . وكما هو مقرر فى الإسلام ، فإن ذلك ليس من صفات المؤمن ، لأن الإيمان تصديق وعمل ، أى توافق بين الباطن الذى انطوى على عقيدة ، والظاهر الذى يجب أن يخضع فى أعماله لهذه العقيدة ، ومثل هذا الإيمان ينافى النفاق بطبيعته ، لأن الإيمان صراحة والنفاق غموض والتواء ، والإيمان قوة والنفاق ضعف وخور ، والإيمان وفاء بالعهد ، والنفاق غدر به ونكث فى العهد ، ولذلك يأمر الله المسلمين بالوفاء بالعهد فى قوله تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) [1]

ويهاجم الغادرين ناكثى العهود فيقول : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا ، أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم [2]) .

والغدر حرام فى كل عهد بين المسلم وغيره ولو كان المعاهد كافراً . وقد أمر الله تعالى بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئاً وأما عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد ونقضها أعظم إثماً ، كما يحرم الغدر فى جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من بيع ونكاح وغيرها من ألوان التعامل الإنسانى الكريم ، فإن خلف الوعود ونقض العهود تضييع للثقة ، وسرقة من وقت الموعود ، وإخلال بنظام حياته وأعماله مما ينتج

---

(١) سورة النحل الآية / ٩١ .

(٢) سورة آل عمران الآية / ٧٧ .

عنه فقدان الإنسان الموعود لكثير من مكاسب الحياة ، وضياع ربح عظيم عليه فى حياته وأعماله .

العلامة الرابعة :

الفجور فى الخصومة : لأن ذلك وزر عظيم يجر إلى أوزار كثيرة ، ومفاسد عظيمة ، فالفاجر فى الخصومة ينكر حق صاحبه ويستحل ماله وعرضه ، ولا يترك باباً من أبواب الإضرار به إلا اقتحمه ، ولو أضاع فى سبيل ذلك وقته وماله ، بل وإن أدى ذلك إلى تعطيل أموره أو عدم القيام بواجباته فالفجور فى الخصومة شر مستطير ، وداء وبيل يقطع الوشائج بين المسلمين ، ويقضى على كل الروابط والأواصر وينشر الجرائم ، ويفتك بالأخلاق ، ويكفى أن نمثل لذلك بما يحدث بين الأحزاب السياسية المتصارعة وخاصة إذا افتقدت جانب الموضوعية فى حوارها ومناقشاتها ـ فإن أفراد الحزب ينهالون على خصومهم ـ فى الرأى ـ بوابل من الاتهامات التى قد تصل إلى إلصاق الجرائم بهم ، والتشنيع عليهم ـ بالحق وبالباطل ـ وفى كل ما يفعلون أو يقولون ، بل إن الفجور فى الخصومة قد يدفع بالبعض منهم الى طعن الآخرين فى شرفهم وكرامتهم وتأليب الرأى العام عليهم من هذا المنعطف المتردى فى الأخلاق والتعامل . وهذا ولا شك خلق الإنسان الجبان الذى لا يرعى الله فى كلمة تقال ، ولا يلتزم فى خصومته بشرف الكلمة وصدق المقال .

والحديث بهذا التوجيه النبوى الكريم يعتبر دعامة من دعائم الأخلاق الفاضلة التى هى أساس نهضة الأمم ورقيها ، وفى الالتزام بما جاء به من توجيهات سعادة الشعوب وعزتها .

ما يرشد إليه الحديث :

(١) يدعو الحديث الشريف إلى الحرص على تكريم النفس البشرية التى كرمها الله ، وذلك بالبعد عن الوقوع فى الدنايا ، والتردى فى مسالك الشيطان مما ينال من كرامة للنفس وعزتها .

(٢) يوجهنا الحديث الى أن الإسلام كما أنه عقيدة وعبادة ، فهو عمل ومعاملات ، فكما يحاسب الإنسان على تقصيره فى أداء الفرائض يحاسب على سلوكه وتعامله مع الآخرين .

(٣) يحرص الحديث على علاقات الناس بعضهم ببعض ، ويؤكد على أن تقوم هذه العلاقة على احترام الآخرين ، وحفظ أعراضهم وصيانة حقوقهم وأموالهم .

(٤) النفاق من أخبث الأمراض النفسية ، فهو يقطع العلائق بين الناس ويفسد معاملاتهم ، ويقضى على عزة النفس وكرامتها .

(٥) فى الحديث بيان وتوضيح لأصول التدين ، وما يجب أن يكون عليه الإنسان المسلم فى خلقه وتعامله مع الآخرين ، وضرورة الالتزام بالمنهج الإسلامى القويم الذى يدعو إلى الأمانة والوفاء والصدق فى القول والعمل .

الحديث الثالث

النفع والضر من الله وحده

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : « كنت خلف النبي ﷺ يوماً ، فقال لي يا غلام : إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » .

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .!

راوي الحديث :

راوي الحديث : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم الرسول ﷺ . كنى بابنه العباس وهو أكبر أولاده فكان يدعى بأبي العباس وهو ابن خالة خالد بن الوليد . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين على أرجح الأقوال وكان يسمى البحر لسعة علمه كما يسمى حبر الأمة .

يقول عنه عبيد الله بن عتبة : « كان ابن عباس قد فات الناس بخصال :

بعلم ما سبقه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، ونسب ، ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأى منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ، ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه ، ويوما التأويل ، ويوما المغازى ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ، ولا رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلا سأله إلا وجد عنده علما » .

وقال عنه ليث بن أبي سليم : « لزمت هذا الغلام — يعني ابن عباس — وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ . إني رأيت سبعين رجلا من أصحاب رسول ﷺ إذا تدارءوا — إختلفوا — في أمر صاروا إلى قول ابن عباس . فمناقبه كثيرة لا تحصى ، وقد دعا له النبي ﷺ فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ودعا له بأن يؤتى الحكمة مرتين ، وثبت عنه أنه رأى جبريل عليه السلام مرتين عند رسول الله ﷺ .

وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ وعن عمر وعلى ومعاذ بن جبل وأبي ذر وروى عنه كثير من الصحابة . استعمله على بن أبي طالب على البصرة فبقى عليها أميراً ، ثم فارقها قبل أن يقتل على ، وعاد إلى الحجاز ، وشهد مع على صفين ، وكان أحد الأمراء فيها .

وقد كف بصره في أخريات حياته ، ثم حل به المرض أثناء الفتنة التي وقعت بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان وما لبث أن توفى سنة ثمان وستين من الهجرة بالطائف ، وهو ابن سبعين رضى الله تعالى عنه .

المفردات :

احفظ الله : احفظ حقوقه وأوامره ونواهيه وداوم على حفظ شريعته واحترامها.

يحفظك : في نفسك وأهلك ، ودنياك ودينك .

تجاهك : وفي رواية أمامك . ومعناه : أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه .

استعنت : طلبت العون والمساعدة والتوفيق فيما تفعل .

اللغويات :

كلمات : مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم .

احفظ الله يحفظك : احفظ فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ، ولفظ الجلالة مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره ، يحفظك : فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر ـ احفظ ـ ويجوز أن يرفع لأنه لم يسبقه ناصب ولا جازم حقيقي والكاف ضمير في محل نصب مفعول به وفاعله ضمير مستتر تقديره ، هو ، يعود على لفظ الجلالة : وهكذا إعراب الجملة التالية لها .

الأقلام : نائب فاعل للفعل « رفعت » والصحف فاعل للفعل «جفت» .

التعبير البلاغي :

هذا الحديث اعتمد على فعل الأمر في جمل عديدة : احفظ ، اسأل ، استعن ، اعلم . والمراد بالأمر فيها النصح والتوجيه والإرشاد ، كما اعتمد على الإخبار في نهايته . إن اجتمعوا . . . ، رفعت الأقلام ، جفت الصحف . والمراد بهذه الأمور أن يؤكد للسامع ضرورة الإيمان بقدر الله وقضائه وعلمه المسبق بما كان وما يكون .

رفعت الأقلام وجفت الصحف : هذا القول كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها منذ أمد بعيد ، فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته ، ورفعت الأقلام عنه ، وطال عهده فقد رفعت الأقلام عنه ، وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها ، وجفت الصحف التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها .

يحفظ الله . كناية أخرى عن التزام أوامره ، واجتناب نواهيه .

مع أسلوب الحديث : يتضمن الحديث وصايا عديدة وقواعد كلية من أهم أمور الدين . وفيه نرى حرص الرسول ﷺ على نفع رفقائه ومعاونيه ، واهتبال الفرصة في إسداء النصح والتوجيه النافع لهم ، كما نجد فيه حرص الرسول ﷺ على الوقت وعدم ضياعه بدون فائدة إذ انتهز فرصة الرفقة في الطريق ليوجه رفيقه ، ويشغل وقته بما يفيده ، وما ينفعه في دينه ودنياه .

كذلك فإن توجيه هذا النصح إلى غلام في مقتبل العمر . يدل على أن رسول الله توسم في عبد الله بن عباس العقل الواعي ، وأنه أهل الوصية ، ولديه من الإدراك ما يعي هذا النصح ويعمل به .

حول معنى الحديث :

هذه وصية رسول الله ﷺ لشبيبة المسلمين ، يوجهها إليهم ، بعد أن وجهها إلى عبد الله بن عباس منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان .

ولقد كان ابن عباس بفضل دعاء الرسول ﷺ وتوجيهه إياه بحراً زاخراً فى العلم ، وإماماً فى الورع والتقوى ، فهل يعى شباب اليوم تلك النصيحة الغالية والتوجيه النبوى السامى حتى يسيروا على طريق الهدى والرشاد ؟

تبدأ وصايا رسولنا الأعظم بقوله « احفظ الله يحفظك » وذلك بالامتثال لأوامر الله والوقوف عند حدوده فلا يتجاوز المسلم ما أمر به وما أذن فيه إلى ما نهى عنه . فمن التزم بذلك فهو من الحافظين لحدود الله ، الذين مدحهم الله فى كتابه العزيز حيث قال « هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ، مَن خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب » .

فإذا التزم الإنسان المسلم بذلك ، كان جزاؤه من الله تعالى من جنس العمل ، فإن الله يحفظه ، كما قال تعالى « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » . وحفظ الله لعبده يكون فى مصالح دنياه كحفظه فى بدنه وولده وماله ، كما قال تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » . قال ابن عباس : هم الملائكة يحفظونه بأمر الله ، فإذا جاء القدر خلوا عنه ، كما يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته فى ذريته كما قيل فى قوله تعالى « وكان أبوهما صالحا » .

ويقول عمر بن عبد العزيز « ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله فى عقبه » كما يحفظه الله فى دينه وإيمانه ، يحفظه فى حياته من الشبهات المضلة ، ومن الشهوات المنحرفة ، ويوجهه إلى العمل الصالح ، ويحببه فى عمل الخير ، ويحول بينه وبين ما يفسد دينه .

والنصيحة الثانية « احفظ الله تجده تجاهك » وفى رواية أمامك ، وهذه جملة تحمل مضمون الجملة الأولى ، وكرر هنا لبيان أهمية مراعاة أوامر الدين والبعد عن معاصى الله ، وإن الإنسان مطالب بذلك لتتحقق له السعادة فى الدارين ويكون الله معه ، ومن كان الله معه فاز بالنعيم المقيم فى دنياه وأخراه .

كتب بعض السلف إلى أخ له : أما بعد ، فإن كان الله معك فمن تخاف ؟ وإن كان عليك فمن ترجو ؟ وهذه المعية الخاصة هى المذكورة فى قوله تعالى لموسى وهارون « لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى » . وقول موسى عليه السلام: « كلا إن معى ربى سيهدين » . وقول النبى محمد ﷺ لأبى بكر وهما فى الغار : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا » ، فمن كان مع الله كان الله معه فى اليسر وفى العسر ، وفى الصحة وفى المرض ، وفى حياته وبعد مماته ، وكان ممن قال الله فيهم « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

ثالث التوجيهات النبوية (وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) .

هذا التوجيه ربط للإنسان المؤمن بربه، ودعوة إلى الاعتصام بحبل الله المتين، وبيان للطريق السوى الذى يجب أن يسير فيه المؤمن. فالأمور كلها بيد الله. ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى ، فهو واهب ، الرزق ، مانح الأمن والطمأنينة وهو المعين ولا معين غيره ، والناصر ولا ناصر سواه ، وهو وحده الموفق إلى الصواب ، والهادى إلى الخير ، بيده ملكوت كل شىء ، وهو على كل شىء قدير .

والدعاء مخ العبادة كما ورد عن الهادى البشير . وباب الله مفتوح لكل سائل والله يحب أن يسأله عباده .

فعن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل » ، وقد ثبت فى الصحيحين عن النبي ﷺ « إن الله عز وجل يقول : هل من داع فأستجيب له دعاءه ؟ . هل من سائل فأعطيه سؤاله ؟ . هل من مستغفر فأغفر له ؟ » .

وكان الإمام أحمد يدعو ويقول : « اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك ، ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله . وقال : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده » .

أما الاستعانة بالله فهى سبيل النجاح والتوفيق فى الحياة وهى ملاذ الإنسان المؤمن وإشراقة الأمل فى قلبه ، وذلك لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله تبارك وتعالى فمن أعانه فهو المعان ، ومن خذله فلا معين له من بعده .

وهذا معنى قولنا : « لا حول ولا قوة إلا بالله » . أى لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة على ذلك إلا بالله . وهذه كلمة عظيمة وهى كنز من كنوز الجنة فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله فى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ، والصبر على ما قدر له ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله .

فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : « احرص على ما ينفعك

واستعن بالله ولا تعجز ، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولا » .

فطلب الاستعانة بالله إرشاد إلى التوكل على الله الذى بيده كل شئ ، والا يتعلق بغيره فى أى أمر من أموره (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

ثم يعقب الرسول ﷺ على توجيهه النبوى بأن يتوجه المؤمن إلى ربه فى سؤاله والاستعانة به دون سواه بقوله : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت .... » .

وهذا تأكيد لتوجيهه النبوى السابق وتأييد لدعوته ، وفى الوقت ذاته تحذير من الإعتماد على غير الله ممن ضعفت علاقتهم بالله وبهرتهم المناصب وأعماهم بريق السلطان . فإنهم إذا اتجهوا فى سؤالهم أو طلبهم إلى غير الله عادوا والحسرة تأكل قلوبهم ، والندم يصفع وجوههم .

وهذه دعوة لأن تصحو ضمائر أولئك الوصوليين الذين يتعلقون بأصحاب المناصب ويجرون من خلفهم ويتمسحون بكل من يملك شيئاً من الأمر أو السلطة . ليوفروا على أنفسهم جهودهم الضائعة ويحفظوا ماء وجوههم المراق دونما داع . وليستبدلوا بهذا التردى فى ركاب الآخرين العمل الجاد ، والإخلاص فيما كلفوا به ، واللجوء إلى الله وحده فيما يبتغون وينشدون . فهو وحده المعز المذل . المعطى . المانع ، الذى بيده الأمر وهو على كل شىء قدير . (فلو أن الخلق جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشىء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشىء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه » .

فكل مايصيب الإنسان مقدر عليه : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) .

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « إن لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .

ولعل القارىء لهذا الهدى النبوى يتبين أن ما أوصى به الرسول ﷺ فى هذا الحديث يرجع إلى هذا القول ويعتمد عليه .

فإن الإنسان المسلم إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر ، وأن اجتهاد الخلق جميعهم على إختلاف قدراتهم وجهودهم وما لهم من سطوة أو سلطان لا فائدة منه ، ولا جدوى من ورائه إلا بأمر الله وإرادته .

إذا علم ذلك تبين له أن الله وحده هو الضار والنافع ، المعز المذل ، فكان ذلك دليلا مقنعاً غير قابل للمناقشة على توحيد الله وإفراده بالطاعة والقيام على حفظ حدوده ، والتوجه إليه وحده بالرجاء والتضرع والدعاء وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً والعمل على تقوى الله فى كل الأمور ، واتقاء سخطه وغضبه ، ولو كان فى ذلك سخط الآخرين وغضبهم .

وتأتى خاتمة الحديث : « رفعت الأقلام وجفت الصحف » لتأكيد ما سبق من معان ، وكدليل دامغ يقضى على كل تردد أو حيرة للانضواء فى طاعة الله ، والامتثال لأوامره والبعد عن نواهيه ، والاعتقاد الراسخ بأن الله وحده مالك هذا الكون ومسيره . إذا قال للشيء كن فيكون . . وكل

شيء بقضائه سبحانه وقدره فقد سبق علم الله وجود الأشياء ، وسجلت فى اللوح المحفوظ . قال تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) .

وعن جابر رضى الله عنه : « أن رجلا قال : يا رسول الله ففيم العمل اليوم ؟ . أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ؟ . أم فيما يستقبل ؟ . قال : لا . بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير . قال : ففيم العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وليس علينا سوى العمل والإخلاص فيه ، والاعتصام بحبل الله ، وأن نضع أنفسنا حيث يريد الله ، وأن نعصمها من التردى فيما يغضب الله . ونتخذ من قوله ﷺ : « إن الروح الأمين ألقى فى روعى : لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » هادياً يهدينا إلى الحق ، ويبعدنا عن نوازغ الشيطان ، ونستضىء به فى علاقاتنا مع الآخرين ، وفيما تطمح إليه فى هذه الحياة

ما يشير إليه الحديث :

١ - إن أمر الإنسان بيد الله وحده . فالرزق لا يملك مخلوق من أمره شيئاً ، ولن يدع إنسان شيئاً مما قدر له .

٢ - الأعمار والآجال لا يعلمها إلا الله ، بل إنها قد حددت فعلا ، ورفعت الأقلام وطويت الصحف .

٣ — النجاح فى هذه الدنيا بتوفيق الله أولا وبما يبذله الإنسان فى سبيله من جهد موفق .

٤ — لا ينبغى التوجه لغير الله بالسؤال . فإن سؤال غير الله ذل وخسران مبين.

٥ - لا معين غير الله . لأن كل ما سواه مخلوقات عاجزة لا تملك من أمرها شيئا فأولى ألا تملك من أمر غيرها شيئاً.

— كل ما يقع فى هذه الحياة فبقضاء الله وقدره ، ولن يغير الإنسان شيئا من قضاء الله الذى لا راد له .

• • •

الحديث الرابع

(التنفير من التبعية)

عن حذيفة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .   (رواه الترمذى)

راوى الحديث :

روى هذا الحديث حذيفة بن اليمان ، وهو حذيفة بن حسل ويقال حسيل ابن جابر العبسى ، واليمان لقب حسل بن جابر ، وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دماً فى قومه ، فهرب إلى المدينة وحالف بنى عبد الأشهل من الأنصار ، فسماه قومه اليمان ، لأنه حالف الأنصار ، وهم من اليمن

روى عنه أبو عبيدة ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وغيرهم ، وقد هاجر حذيفة إلى النبى ﷺ فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة .

وحذيفة هو الصحابى الجليل صاحب سر رسول الله ﷺ فى المنافقين ، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة ، أعلمه بهم رسول الله ﷺ .

وكان لفضله ومكانته إذا مات أحد ، يسأل عنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر .

وقد شهد حذيفة رضي الله عنه هو ووالده وأخوه صفوان أحداً مع النبي ﷺ وقتل فيها أبوه خطأ من المسلمين فأراد الرسول ﷺ أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك خيراً عند رسول الله . ولم يحضر حذيفة بدراً لأن المشركين أخذوا عليه الميثاق ألا يقاتلهم فسأل النبي ﷺ هل يقاتل أولا ؟ فقال له النبي ﷺ بل نفي لهم ونستعين الله عليهم .

كما شهد حذيفة الحرب بنهاوند ، فلما قتل النعمان بن مقرن أمير ذلك الجيش أخذ الراية ، وكان فتح همذان ، والري والدينور على يديه ، وشهد فتح الجزيرة ، ونزل نصيبين وتزوج فيها . ثم توفي سنة ست وثلاثين من الهجرة ، بعد مقتل عثمان بن عفان بأربعين ليلة

المفردات :

الإمعة : الإمع والإمعة - بكسر الهمزة وفتحها - : الرجل يتابع كل أحد على رأيه ، ولا يثبت على قول أو فعل .

وطنوا أنفسكم : وطن نفسه على الأمر وللأمر : هيأها لفعله ، وحملها عليه .

تجتنبوا : تبتعدوا ، من اجتنبت الشيء : ابتعدت عنه

اللغويات :

لا : حرف نهي وجزم .

يكن أحدكم إمعة : كان واسمها وخبرها ، ويكن مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه السكون .

أنا مع الناس : مبتدأ وخبره شبه الجملة « الظرف » وهو مضاف والناس مضاف إليه . والجملة فى محل نصب مقول القول « يقول » .

إن أحسن الناس أحسنت : جملة شرطية أداتها : إن ، وفعل الشرط أحسن والناس فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة ، وأحسنت : جواب الشرط مبنى على السكون والتاء ضمير فاعل فى محل رفع ، ومثلها فى الإعراب جملة : وإن أساءوا أسأت . والجملتان فى محـل نصب مقول القول أيضاً كسابقتهما « أنا مع الناس » والقول ومقوله فى محل نصب صفة لإمعة .

ولـكن وطنوا أنفسكم : الواو عاطفة ، لـكن حرف استدراك ، وطنوا : فعل أمر مبنى على حذف النون ، والواو فى محل رفع فاعل . أنفس : مفعول به وهى مضافة إلى ضمير المخاطبين « كم » .

إن أحسن الناس أن تحسنوا : جملة شرطية ، أداتها : إن ، وفعلها : أحسن والناس : فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة . أن تحسنوا : أن حرف مصدرى ونصب ، وتحسنوا : فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فى محل رفع فاعل ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : « أن تحسنوا » ، والتقدير : إن أحسن الناس تحسنوا .

وكذا القول فى جواب الشرط فى الجملة الشرطية التالية : وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم ، فجواب الشرط محذوف دل عليه قوله « أن تجتنبوا » والتقدير : إن أساءوا تجتنبوا إساءتهم .

التعبير البلاغى :

فى الحديث الشريف نهى « لا يكن . . . . » ، وأمر « وطنوا » ، والمراد بهما النصح والتوجيه إلى وجوب حفظ كرامة الإنسان المسلم والبعد عن التبعية

التى تفقد الإنسان ذاته وتلغى شخصيته . وفيه استعارة « وطنوا أنفسكم » . فقد شبه الرسول ﷺ تهيئة النفس وإلزامها بقبول مسلك كريم ، والعمل على هدى منه ، شبه ذلك بالتوطين ، وهو مأخوذ من وطن — بفتحتين — يطن بالمكان : أقام به .

وهذا التعبير البلاغى يفيد المبالغة التى تستفاد من مجاهدة النفس وعدم قبولها لذلك ، إلا بعد مجاهدة ومتابعة حتى يمكن تعويدها على هذا الخلق وإلزامها به .

وفى الحديث أيضاً : تفصيل بعد إجمال ، وتوضيح بعد إيجاز . وهذا من شأنه أن يشحذ الفكر ، ويدفع بالمعنى المراد الى قبوله وتثبيته فى النفس المتلقية .

مع أسلوب الحديث :

يتوجه هذا الحديث إلى الفرد المسلم وكأنه يريد المسلمين على المستوى الفردى ألا يكونوا تابعين فى الرأى لأحد ويستعمل لفظ « إمعة » الذى يوحى بتركيب حروفه وضبط حركاته معاً بالاهتزاز وعدم الاستقرار وأنه يشير بهذا اللفظ القليل الاستعمال فى الأساليب الأدبية إلى غرابة هذه الصفة بين المسلمين .

كذلك فإن لفظ « يقول » فى الحديث « يقول أنا مع الناس » يشعر بأن من اتصف بهذه الصفة لا رأى له ، إذ هو مجرد قول لا مصدر له من نفسه .

كما أن قوله « أنا مع الناس . . . » يوضح هوان هذا الشخص على نفسه

فهو لا يملك من التصرف شيئاً من الإستقلال ، والإظهار فى موضع الإضمار يوضح أهمية الناس عنده ، وكبرهم فى نظره . واستعمال إن الشرطية يفيد أنه لا يتوقع منهم شيئاً معينا من الحسن أو القبح ، ومع ذلك فهو تبع لهم سائر فى ركابهم

وفى نصح الرسول ﷺ المسلمين يتوجه الحديث إلى الجماعة « وطنوا أنفسكم . . . » لا إلى الفرد كما كان الأمر فى التحذير : لا يكن أحدكم امعة . . . . » وذلك لبيان أن المسلمين كلهم وحدة واحدة وأن جماعتهم متضامنة فيما يأمرهم به من مشاركة فى كل أمر حسن وبعد عن السوء ومواطنه .

حول معنى الحديث :

هذا الحديث الشريف يدعو إلى بناء الشخصية الإسلامية على الخلق الكريم والخلال الحميدة ليكون الإنسان كاملا فى سلوكه ومعاملاته مع نفسه ومع الآخرين ، ولا يتم له ذلك إلا إذا أعمل فكره فى جميع ما حوله .

ولذلك دعا الإسلام الإنسان إلى النظر والتفكير فيما حوله فقال تعالى: (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار . . . لآيات لقوم يعقلون) الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

وقال تعالى : (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) الآية ١٠١ من سورة يونس .

وقال جل شأنه : (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض . . .) الآية ١٧٥ من سورة الأعراف .

وذلك ليكون اعتقاد المسلم مبنياً على حجة وبرهان ويقين واضح ، مما يدفع به إلى الاستقلال فى الرأى ، والرفض لكل تبعية أو انقياد ،

وهكذا يجب أن يكون المسلم فى كل مايعرض له من أمور ، فلا يعتنق مبدأ من المبادىء أو يتجاوز إلى رأى من الآراء إلا إذا قام لديه من الأدلة ما يقنعه القناعة الكاملة بأن هذا هو الصواب والرأى السليم .

أما هذا الشخص الذى لا يقوم رأيه على دليل ، ولا يستند على حجة واضحة ولا يفكر فى الأمور أو ينظر فيها ، فإنه قد حرم نفسه من أعظم مقومات حياته وأساس احترامها فى هذا الوجود ، وهو الاستقلال بالرأى فقد حكم على نفسه بالتجرد من العقل ، والبعد عن التفكير السليم ، وارتضى لنفسه التبعية المقيتة فأصبح يساير كل ناعق ويطير وراء كل صيحة ويصدق كل ما يقال له ، فهو إنسان ذليل هانت عليه نفسه وانحدر بها إلى مستوى البهيمية التى لا تعى من أمرها شيئاً ، والله لا يرضى للمسلم إلا أن يكون عزيزاً قويا كامل الإرادة ، أبى النفس كريما .

وليس معنى الاستقلال بالرأى ، أن تستبد به ولو ظهر وجه الخطأ فيه أو تتوقف فى إعطاء الرأى فيما يعرض عليك من أمور أو قضايا . فإنك بذلك تكون قد عزلت نفسك وحكمت عليها بالتحجر والجمود . بل المقصود أن تتمسك برأيك طالما كنت مقتنعاً به بعيداً عن التعصب الأعمى والنظرة القاصرة ، أما إن ظهر لك خطأ ما تدين به وتعتقد وبان شره ، فإنه يجب عليك أن تسارع بالعدول عن هذا المعتقد إلى الرأى الصائب المبنى على الحجة الصادقة والذى لا يأتى عادة إلا بعد تفكير وروية ، وبعد عن الهوى واستعراض لجميع الأوجه الممكنة فى هذا الأمر المطروح للتفكير أو المطلوب الرأى فيه .

فليتعود كل منا أن يحكم عقله فيما حوله ، وأن يستعرض الأمور ببصيرة نافذة وروية ، ومواجهة للقضايا والأمور بصدق وصراحة . كي يصل إلى رأي مقنع مدعم بالبراهين والأدلة ، ثم يعلن ذلك في صراحة ووضوح دونما خوف أو خجل أو تردد .

وبهذا يكون الإنسان صاحب قراره ومصدر أحكامه فان تلاقى ذلك مع ما عليه الآخرون كان ذلك فضلا من الله ونعمة ، وان أصاب هو وأخطأ غيره نجا مما وقع فيه المخالفون من سوء العاقبة ، وحفظ لنفسه حرية التفكير وابتعد بها عن التبعية الذليلة التي لا تقبلها النفس الكريمة ويرفضها ديننا الحنيف .

وقد واجه هذا الحديث الشريف هؤلاء الذين هانت عليهم أنفسهم وأسلموا أمورهم لغيرهم ، بل مكنوا الآخرين من رقابهم والتصرف في شئونهم ، فصاروا يلهثون من ورائهم . إذا أشاروا سارعوا إلى التنفيذ وإن طلبوا هرولوا ملبين صاغرين راكعين ، وإن تحدثوا هللوا وسارعوا إلى الإشادة بما فعلوا أو قالوا ولو كان قولا تافها وعملا حقيراً .

فهذا خلق تأباه الكرامة الإنسانية ، ويرفضه الدين الإسلامي الحنيف ، وينادي المسلمين دائما بأن يبتعدوا عن التبعية وعن الانقياد للغير بل أنه ينذر الخانعين الأذلاء المستضعفين بالعذاب الشديد .

فيقول تعالى : (إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) .

ما يشير إليه الحديث :

١ - كراهية الإسلام للتقليد ، أو السير في ركاب الآخرين مهما كانت مكانتهم .

٢ - ضرورة الاعتماد على التفكير المستقل ، والبحث عن الحق بالعقل المجرد بعيداً عن المؤثرات والأهواء الخارجية حتى تتحقق للمسلم عزته واستقلاليته فيما يرى ويعتقد .

٣ - على المسلم أن لا يقلد الناس أو يتابعهم إلا فيما هو خير وما فيه إحسان للآخرين . فإن أساؤا وجبت مخالفتهم واجتناب الإساءة إليهم بل يتجاوز ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٤ - يقرر الحديث الشريف مبدأ من مبادىء ديننا الحنيف وهو المسئولية الفردية والتبعية الذاتية . فكل نفس بما كسبت رهينة . إذ المسلم محاسب ومسئول عما يعتقد وما اقترفت يداه لا يشاركه في هذه التبعية أحد .

. . .

الحديث الخامس

الأخوة الإسلامية :

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا) .

والحديث بقية وردت كما يلى : (.. كما أمركم الله تعالى ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم : كل المسلم على المسلم حرام : ماله ، ودمه ، وعرضه ، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره) .

رواه البخارى ومسلم فى كتاب الأدب من صحيحيهما من طرق مختلفة ، وألفاظه فيهما مفرقة .

الراوى :

أبو هريرة كنية أطلقها رسول الله ﷺ على الصحابى الجليل عبد الرحمن ابن صخر الدوسى وأصبحت علماً عليه ، وذلك لما رآه ﷺ يحمل فى كمه هرة صغيرة تلازمه طول يومه .

ولد قبل البعثة بحوالى سبع سنوات وأسلم عام خيبر فى السنة السابعة من الهجرة ، وهو أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله ﷺ ، فقد روى عنه أكثر من خمسة آلاف حديث ، وذلك لملازمته رسول الله منذ إسلامه وقد روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع .

وقد استعمله عمر رضى الله عنه على البحرين ثم عزله ، ثم أراد عمر أن يعيده إلى العمل فأبى وأقام بالمدينة حتى توفى بها حوالى سنة ٥٨ هـ ، عن ثمان وسبعين سنة ، وقيل مات بالعقيق وحمل إلى المدينة ودفن بها وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وكان أميراً على المدينة لعمه معاوية بن أبى سفيان .

المفردات :

الظن : هو التهمة بدون دليل والتى لا سبب لها ، كمن يتهم رجلا بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها .

أكذب الحديث : المراد حديث النفس ، وكل ظان يحدث نفسه بما يظنه . والمعنى فإن الظن أكثر كذباً من الكلام

ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا : الأولى بالحاء المهملة ، والثانية بالجيم ، وكل منهما بتاءين حذفت إحداهما للتخفيف وكذا فى بقية النواهى التى تلتها ، قال بعضهم : كلاهما بمعنى ، وذكرت الثانية تأكيداً كقولهم سحقاً وبعداً ، والأصح أن كلا منهما له معنى مستقل لأن كلام الشارع كله معنى بعد معنى فالتى بالحاء معناها : الاستماع لحديث الناس وبالجيم معناها البحث عن العورات ، وقيل التحسس (بالحاء) المهملة معناها : البحث عما يدرك بحاسة العين ، والتجسس معناه البحث عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال فى الشر ، وقد رجح القرطبى هذا المعنى .

ولا تحاسدوا : هو النهى عن تمنى زوال النعمة عن الآخرين .

ولا تدابروا : لا تتخاصموا قال الخطابى : معناه : لا تتهاجروا فيهجر

أحدكم أخاه ، مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره ، إذا أعرض عنه حين يراه
وقال المازرى : معنى التدابر : المعاداة ، يقال دابرته إذا عاديته .

ولا تباغضوا : أى تتعاطوا أسباب البغض ، وقيل المراد النهى عن الأهواء المضلة المقتضية للتباغض .

وكونوا عباد الله إخواناً : هذه الجملة جاءت كتعليل لما تقدم ، كأنه يقول إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخواناً ، ومفهومه إذا لم تتركوها تصيروا أعداء .

والمعنى اكتسبوا يا عباد الله ما تصيرون به إخواناً كإخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمواساة والمعاونة والنصيحة والمحبة .

لغويات :

إياكم : إيا : ضمير للمخاطب فى محل نصب مفعول لفعل محذوف وجوبا تقديره : (احذر) ، والكاف : حرف خطاب ، والميم للجمع . والظن : الواو حرف عطف ، والظن معطوف على إيا ، وقيل منصوب بفعل محذوف وجوباً أيضـا ، وبذلك يكون العطف من باب عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية قبلها .

لا تحسسوا : لا : ناهية ، تحسسوا : أصلها تتحسسوا حذفت التاء الأولى تخفيفا وهى فعل مضارع منصوب بلا الناهية ، وعلامة النصب حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة وواو الجماعة فى محل رفع فاعل ، ومثلها فى الإعراب ما جاء بعدها من قواه .

وكونوا عباد الله إخوانا : الواو عاطفة ، كونوا : فعل أمر مبنى على حذف النون - والواو اسمها فى محل رفع ، عباد : منادى بحرف نداء محذوف تقديره

(يا) منصوب بالفتحة الظاهرة وهو مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة .

إخوانا : خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره .

الجوانب البلاغية :

إياكم والظن : النهي عن الظن لا يراد به ترك العمل بالظن الذى تناط به الأحكام ، بل المراد ترك تحقيق الظن الذى يضر بالمظنون به ، وكذا ما يقع فى القلب بغير دليل ، وذلك أن أوائل الظنون إنما هى خواطر لا يمكن دفعها ومالا يقدر عليه لا يكلف به .

فإن الظن أكذب الحديث : استشكلت تسمية الظن حديثا وأجيب بأن المراد عدم مطابقة الواقع سواء أكان قولا أو فعلا ويجوز أن يكون المراد ما ينشأ عن الظن فوصف الظن به مجازاً .

ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ، المراد بالنهى فى هذه الأمور الإلزام فهى نواه مراد بها حقيقتها وذلك حتى تقوم علاقة الحب بين المسلمين وتتوطد دعائم الأخوة الإسلامية بينهم فتصفو حياتهم وتعلو كلمتهم .

لا تباغضوا : أى لا تتعاطوا أسباب التباغض ، لأن الحب والبغض معان قلبية لا قدرة للإنسان على اكتسابها ولا يملك التصرف فيها .

كونوا عباد الله إخوانا : المراد بالأمر هنا الإلزام أيضا والعمل على نبذ ما يعكر الصفو بين المسلمين ليكونوا كما أراد الله لهم إخوانا متحابين متضامنين فى سبيل خيرهم وعزتهم .

مع أسلوب الحديث :

فى هذا الحديث الشريف نجد كراهية الرسول ﷺ للظن وبغضه له حيث صدّر قوله بتحذير للسلمين جميعاً فقال « إياكم والظن » أى لا تتخذوه سلوكا لكم ولا تسولوا لأنفسكم طريقه ، ثم يعقب على هذا النهى ببيان قبح هذا المسلك والتنفير منه فيقول: « فإن الظن أكذب الحديث » وذلك لأن الكذب فى أصله مستقبح مستغنى عن ذمه ، لأن تعمد الكذب الذى لا يستند إلى ظن أصلا أشد من الأمر الذى يستند إلى الظن ، والظن المنهى عنه هو الذى لا يستند إلى شىء يجوز الاعتماد عليه فيعتمد عليه ويجعل أصلا ويجزم به ، فيكون الجازم كاذبا فصاحبه بزعمه مستند إلى شىء فوصف بكونه أشد من الكذب مبالغة فى ذمه والتنفير منه ، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر من الكذب المحض لخفائه غالبا ووضوح الكذب المحض .

ويعطف الرسول ﷺ على نهيه عن الكذب بالنهى عن التحسس والتجسس وهما لفظتان تصويريتان تتميزان بالحركة والصوت إذ التحسس من الحاسة إحدى الحواس الخمس ، والتجسس بمعنى اختبار الشىء باليد وهى إحدى الحواس ، وقيل إن الأولى بمعنى استماع حديث القوم والثانية بمعنى البحث عن عورات الناس وهذا مما يقطع الروابط ويمزق الصلات القائمة بين الأفراد ويفضح مستور الناس وينال من كراماتهم ولهذا كان تنفير النبى ﷺ منهما .

ثم نجد الرسول يوجه نهيه إلى الكف عن الحسد « لا تحاسدوا » لأن الحسد وإن كان مركوزا فى الطبع البشرى الا أننا مطالبون بمقاومته فى النفس وصرفها عن هذا المسلك . فالحسد يمزق النفس ويشعل النار فيها . وعلى المرء أن يسعى فى اكتساب مثل فضائل الإنسان الذى يحسده ويتمنى

أن يكون مثله لأنه لا فائدة من الحسد سوى تأجيج نار الحقد والكراهية فى نفس الآخرين ولا طائل من ورائه سوى سواد الحياة فى وجه الحاسد، وازدياد نقمته على من حوله دون ذنب جنوه. ولذلك أوجب الدين الإسلامى ضرورة إزالة ما يجد الإنسان فى نفسه من الحسد تجاه الآخرين حتى يبدله بمحبتهم وأن يقاوم هذا المسلك المعوج حتى يتخلص منه ويفرغ لبناء حياته بعيداً عن الحقد والكراهية بقلب ملىء بالإيمان ملتزم بتقوى الله وطاعته. ثم ينهى الرسول ﷺ عن التدابر والتباغض وذلك لأن المسلمين اخوة يتحابون ولا يتهاجرون أو يتباغضون. فالمدابرة إعراض عن الآخرين ومن أبغض أعرض، ومن أعرض ولى دبره وهذا خلق يأباه الإسلام وينهى عنه ويؤكد دعوته إلى المحبة والتواصل حتى يكون المسلمون يداً واحداً وقلبا واحداً.

ثم يختم الرسول ﷺ هذه التوجيهات الإسلامية الرفيعة بدعوته إلى المسلمين عباد الله أن يكونوا إخوانا، وهذه الجملة جاءت كالتعليل لما سبق وكأنه يقول، إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخوانا كأخوة النسب فى الحب والصفاء والرحمة.

المعنى العام :

هذا الحديث الذى يوافق قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ..... » الآية ١٢ من سورة الحجرات، يضع الأساس السليم للتعامل فى الإسلام. فهو يدعو إلى الابتعاد عن خمسة أشياء، والعمل على توطيد الأخوة الإسلامية، ثم بين ما تستلزمه هذه الأخوة من صفات، ويحدد مالا يحل الاعتداء عليه وما يجب أن يعنى به المسلم.

فيحذرنا رسول الله ﷺ من الظن، ويصفه بأنه أكذب الحديث

ولا شك أن المراد بالظن هنا الظن السوء بالناس دون مسوغ ولا دليل ، ثم إصدار الأحكام عليهم بناء على هذا الظن وحده ، لحديث النفس ليس منهيا عنه لأنه ليس فى مقدور الإنسان منعه ولذلك روى أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث لا يسلم منها أحد : الطيرة والظن ، والحسد . قيل فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » . أما الذين يوردون أنفسهم موارد الشبهات جهرة ، ودون مبالاة بأحد فإن سوء الظن بهم ليس حراما ولا منهيا عنه .

كما ينهى عن التجسس ، وذلك لأن فيه اطلاعا غير جائز على أسرار الناس وكشفا لعوراتهم . ولو أبيح ذلك لساءت العلاقات بين الناس . والإسلام حريص كل الحرص على صلة المسلم بأخيه المسلم وقيام المحبة الكاملة بينهما . أما التجسس على الأعداء فى الحروب ، أو على المجرمين لمنعهم من ارتكاب جرائمهم أو لمعرفة الجناة فى الجرائم التى وقعت ، فهذا وأمثاله لا يحرمه الإسلام بل يدعو إليه لأن المصلحة فيه أكبر من الضرر ، وفيه أمن الناس ، والإسلام يرعى المصلحة العامة ويضعها نصب عينيه فى أوامره ونواهيه كذلك فإن الحسد يتنافى مع خلق الإنسان المسلم ويدل على نقص الإيمان ، لأن المسلم أخو المسلم يحب لغيره ما يحب لنفسه . ثم هو يثق بالله ويوقن بأن الله وحده هو الرازق ، واهب النعم ، وتمنيه زوال نعمة الله عن غيره نقيصة وخلق مذموم ينأى عنه المسلم .

ولقد نهانا الله عن التطلع إلى ما فى يد غيرنا وتمنيه ، فقال : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » كما أمرنا بأن نستعين به سبحانه وتعالى على شر الحاسدين فقال : « قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد » .

أما التدابر ، وهو إعراض الإنسان عن أخيه المسلم هجراً ومعاداة له فإنه نهى عنه لما فيه من تقطيع الروابط ، وتفكك العلاقات الإسلامية أما البغض فى الله فهو مطلوب كالحب فى الله ويثاب المؤمن عليه .

والتباغض كالتدابر نهى عن أسبابه لأن المسلمين إخوة ، فيجب ألا يفسحوا المجال لأية خصومة أو هجر يبغض بعضهم إلى بعض ، ويجب أن يكونوا متحابين متعاونين ، لا يسمحون بإعراض أو قطيعة فى علاقاتهم .

وبعد هذا التوجيه النبوى الكريم يأمرنا النبى ﷺ بأن نكون إخوة متحابين كما أمرنا الله ، وهذا الأمر نتيجة طبيعية لاجتناب المنهيات السابقة فى الحديث فإن المسلمين إذا لم يسىء بعضهم ببعض الظن دون دليل ، ولم يتجسس أحد على أحد بحثا عن عوراته وعيوبه ولم يحسد الرجل أخاه المسلم على ما وهب الله له من نعم ، ولم يرتكب البعض مع الآخرين من الأخطاء ما يؤدى بهم إلى الفرقة وينتهى إلى التنافر والخصام والكراهية . إذا لم يحدث منهم ذلك سلم المجتمع الإسلامى من أسباب الفرقة والآفات التى تفت فى عضده ، وأصبح مجتمع أخوة يرتبط أفراده بروابط التعاون وأواصر المودة والرحمة وصاروا أعضاء أسرة واحدة فيكونون كما أراد لهم رسول الإنسانية « إخوانا » وكما أراد لهم ربهم حيث قال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

ما يشير إليه الحديث :

يشير الحديث إلى عدة أمور فى العلاقات الإسلامية أهمها :

١ - تحريم الاتهام بغير دليل . فإن أعراض الناس وأقدارهم يجب أن تصان عن عبث العابثين .

٢ - عدم التجسس على الآخرين للتنقيب عن معايبهم .

٣ - محاربة الحسد فى النفس والعمل على اجتنابها وتوقى أسبابها .

٤ - تحريم بغض المسلم والإعراض عنه وقطيعته بغير ذنب شرعى .

٥ - حرص الإسلام على إقامة علاقة الحب والإخاء بين المسلمين ومحاربة كل ما من شأنه أن يوقع الفرقة فى صفوفهم أو يثير العداوة بينهم .

الحديث السادس

(الدين النصيحة)

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» «ثلاثاً». قلنا لمن (يارسول الله)؟ قال: لله (عز وجل) ولكتابه ولرسوله (ﷺ) ولأئمة المسلمين وعامتهم. «رواه مسلم»

راوي الحديث:

هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن خزيمة ... يكنى: أبا رقية بابنته رقية التي لم يولد له غيرها

كان نصرانياً فأسلم سنة تسع من الهجرة. سكن المدينة ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. وأقام بفلسطين وأقطعه النبي (ﷺ) بها قرية عينون وكتب له كتاباً، وهي إلى الآن قرية مشهورة في فلسطين المحتلة.

وقد روى عن الرسول (ﷺ) ثمانية عشر حديثاً، وليس له في الصحيحين إلا هذا الحديث. وهو أول من أوقد السراج في مسجد الرسول (ﷺ) وتولى تزويده بالقناديل.

غزا مع رسول الله ﷺ، وكان صاحب دين وقيام وقراءة للقرآن. وقد روى عنه أنه قام ليلة حتى أصبح بآية واحدة من القرآن الكريم، فيركع ويسجد، ويبكى وهي قول الله تعالى: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»[1]

---

(١) الآية (٢١) من سورة الجاثية.

توفى سنة ٤٠ هـ ودفن فى (بيت جبريل) من قرى الخليل بفلسطين[1]

المفردات :

الدين : المراد به هنا : ما شرعه الله لعباده من أحكام الإسلام ويطلق الدين على ما يتدين به الرجل ، وعلى الحال ، والملة ، والجزاء كقوله تعالى : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أى جزاءهم .

النصيحة : قال صاحب النهاية : النصيحة كلمة تعبر عن جملة هى : (إرادة الخير المنصوح له) . وليست كلمة تعبر عن هذا المعنى سواها . وأصل النصح فى اللغة الخلوص ، من نصح الشىء إذا خلص وصدق وأصبح نقيا لا غش فيه وسليما لا خلل فيه . ويقال نصحته ونصحت له . وقال الخطابى النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له .

أئمة المسلمين : أئمة جمع مسموع لإمام . والإمام يطلق على الخليفة وعلى قيم الأمر المصلح له ، وقائد الجند ، وعلماء المسلمين وقادتهم فى تنظيم شئون الدنيا وإقامة معالم الدين ونشره بين الناس . وقد قالوا الإمامة أربعة : وحى : وهى النبوة ، ووراثة وهى العلم ، وعبادة وهى الصلاة ، ومصلحة وهى الخلافة .

عامتهم : العامة فى اللغة : عيدان مشدودة تركب فى البحر ليعبر عليها . وجمعها عوام . مثل الخاصة والخواص ، وهم غير الخاصة . والعامة من العموم : اسم للجميع ـ الخاصة والعامة ـ .

---

(١) راجع أسد الغابة فى معرفة الصحابة ١ / ٢٥٦ ، والإصابة (لابن حجر ١ / ١٩١) .

اللغويات :

(ال) فى قوله : (الدين) للعهد أى دين الاسلام بتكاليفه والتزاماته التى أوجبها الشرع على الإنسان المسلم .

الدين النصيحة : الدين مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره والنصيحة : خبر المبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة .

لمن : الجار والمجرور شبه جملة خبر لمبتدأ محذوف تقديره : (النصيحة) أى لمن النصيحة ؟

لله : شبه جملة خبر لمبتدأ محذوف تقديره : النصيحة . أى النصيحة لله ...

التعبير البلاغى :

الدين النصيحة : جملة اسمية تفيد القصر أى قصر الدين على النصيحة فالدين محصور فى النصيحة وغيرها لا يعتد به . فهو قصر موصوف على صفة وقد جاء هذا القصر من تعريف ركنى الجملة (الدين النصيحة) والرواية التى معنا تفيد أن الرسول (ﷺ) كرر هذه الجملة ثلاث مرات مما يدل على أهمية هذا المبدأ الإسلامى وأنه عماد الدين وأساسه ، وتوجيه أنظار المتلقين إلى الحفاظ عليه ، وإقامة علاقاتهم مع الله ورسوله ومع الناس على أساسه وعلى هديه . وتستعمل النصيحة فى الدين على طريقة تشبيه الأمور المعنوية بالأمور الحسية فقد قيل إن النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب ، وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع فشبهوا تخليص القول من

النفس بتخليص العسل من الخلط

وسؤال السامعين « لمن » يفيد أن الرسول ﷺ قد أجمل القول، ليتشوف السامعون إلى مزيد من التفصيل والتوضيح فيسألوا ويستفسروا .
لله ولرسوله . . . ذكرت اللام فى قوله ﷺ « لله » على أصل الاستعمال فى التعبير ، ثم كررت ثلاث مرات ليفيد تكرارها ضرورة الاهتمام بالنصيحة للكتاب وللرسول ، وللأئمة . قالوا ولم تكرر اللام فى قوله « وعامتهم » لأنهم لا استقلال لهم إذ هم أتباع للأئمة ، على قول من جعل العامة غير الخاصة . أما من أراد بالعامة جميع الأمة فإنه يحمل حذف اللام لبيان أن النصيحة مطلوبة لجماعة المسلمين – عامتهم وخاصتهم – .

مع أسلوب الحديث :

هذا الحديث ألفاظه قليلة ومع ذلك فإنه يجمع أحكام الإسلام بل إن كلمة واحدة فيه « لكتابه » يندرج تحتها أساس الإسلام كله فهى تشتمل على الدين كله أصلا وفرعا وعملا واعتقادا .

كما جاءت عبارة الدين النصيحة فى صورة أسلوب قصر ، وهى إلى جانب ما يفيده هذا القصر من أن الدين محصور فى النصيحة أو معتمد عليها ، فإنها عبارة مجملة فصلها الرسول ﷺ بعد ذلك حين أفاد السائل بأن النصيحة تتجه إلى الله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم .

وهذا الاستعمال :– الإجمال بعد التفصيل – يدل على البلاغة النبوية الشريفة التى حرصت على تشويق السامعين بهذا الإجمال بهدف ترسيخ المعنى وتثبيته فى

نفس المتلقين وذلك بدفعهم إلى السؤال وتشوقهم إلى سماع الإجابة التى تشفى صدورهم وتقع فى نفوسهم موقعا طيبا .

المعنى العام :

يحرص الرسول ﷺ فى أقواله وأفعاله إلى توجيه الإنسان المسلم إلى الطريق السوى ، والحفاظ على سلوكه القويم فى التعامل مع الله سبحانه وتعالى ، ومع إخوانه من بنى جنسه ، حتى يتصل العبد دائما بربه ويقيم العلاقات الطيبة الدائمة بينه وبين خالقه ، وفى الوقت ذاته يؤكد بسلوكه ومعاملاته مع من يعاشرهم وتجمعه بهم المصالح المشتركة ، والمعاملات اليومية أنه ملتزم بما أمر الله ، منفذ لهدى رسوله الكريم ، ساع إلى خيره وخير مجتمعه ، يقيم علاقته بهم على الحب والخير والتناصح والتراحم مهتديا بهدى المصطفى ﷺ حيث يقول : (من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يمس ويصبح ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم) :

وهذا الحديث من التوجيه النبوى الكريم يهتم ببيان علاقة الإنسان بربه وبالناس من حوله ، فهو كما يقول الحافظ أبو نعيم : (له شأن عظيم) وكما يقول محمد بن أسلم الطوسى : (إنه أحد أرباع الدين) وهو أحد الأحاديث التى يدور عليها الفقه :

ففى رواية عن أبى داود أنه قال : الفقه يدور على خمسة أحاديث : الحلال بين والحرام بين .) وقوله ﷺ : (لا ضرر ولا ضرار) ، وقوله : (إنما الأعمال بالنيات) ، وقوله : (الدين النصيحة) وقوله : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم)[1]

---

(١) راجع جامع العلوم ص ٦ دار الفكر

والنصيحة فى الحديث تتجه إلى خمسة جوانب :

الجانب الأول : ـ

النصيحة لله : وهنا يجب أن نفرق بين النصيحة لله ، والنصيحة للعباد . فالله ـ جل شأنه ـ غنى عن نصيحة العباد ولا يعقل أن يتوجه المخلوق إلى خالقه الذى أنشأه وسواه بالتوجيه والنصح فهو غنى عن عباده الناس جميعاً ، وإنما النصيحة لله تكون فى الإيمان به الإيمان الكامل وذلك بالإخلاص فى عقيدة التوحيد وتنزيهه تعالى عما لا يليق به ووصفه بصفات الكمال والإجلال ، ونفى الشرك عنه ، وطاعة أمره ، واجتناب نواهيه ؛ وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه والتوكل عليه ، والثقة فى أنه وحده النافع والضار ، والإيمان بقضائه وقدره ، وغير ذلك مما يؤكد إيمان الشخص بربه . وجميع هذه الأشياء فى حقيقة الأمر إنما تعود فائدتها إلى العبد ، فهى نصيحة لنفسه وكسب الخير لها يقول الله تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) .

فالطاعة تزكى النفس وتطهرها وترتفع بها ، والمعاصى تدس النفس ـ تغشيها بالجهل وارتكاب المعاصى ـ وتقمعها فتنخفض وتصير كالذى يدس فى التراب . فمن سعى فى طاعة الله ، ونصح نفسه بأن قدم حق الله على حقه ـ فقد باع نفسه بالهوان وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه .

الجانب الثانى : ـ

النصيحة للكتاب : وذلك بالإيمان بالقرآن الكريم والعمل بما فيه والتدبر لمعانيه ، والقيام بحق تلاوته ، والاتعاظ بمواعظه وهديه والاعتبار بزواجره

والحفاظ عليه من أيدى العابثين والمنحرفين وطعن الطاعنين ، والعمل على حفظه وتحفيظه . فمن عثمان بن عفان عن رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : « القرآن شافع وماحل مصدق ، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار » وعنه رضى الله عنه قال : « يجىء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه ، فيكون قائداً إلى الجنة ، أو يشهد عليه فيكون سائقاً إلى النار .

ففى الجلوس إلى القرآن الكريم شفاء للصدور ، وتفريج للكروب وطارح للهموم والغموم ، ما تعهده مؤمن بالحفظ والتلاوة إلا وجد حلاوة الإيمان فى قلبه ، وما خلا إليه إنسان وجعله أنيساً له فى وحدته إلا كان له أمناً وطمأنينة ونوراً يسير بين يديه ، وما أحوجنا نحن المسلمين فى هذه الأيام إلى الجلوس إلى القرآن ومدارسته بعد أن ابتعد الكثير منا عن كتاب الله ، وشغلتهم الدنيا بزخارفها ومفاتنها ، وألهتهم الأموال والأعمال عن مدارسة القرآن وقراءته فامتلأت حياتنا بالضلال والزيف وانحرفت الضمائر ووقعت فى كثير من الجرائم كالرشوة والوصولية والتبعية والتزييف والتزوير ، والاختلاس والسرقة فغلفت حياتنا سحابة كثيفة من الضلال فى الأعمال والأقوال ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن انعدمت الثقة بين الناس ، واختفت البسمة من فوق الشفاه ، وانتشر الاكتئاب النفسى ، وزادت نظرات الريبة والشك فى كل ما يقال ، بل لقد طعن شبابنا اليوم فى طموحاته وآماله العريضة ، وأصبح الكثير منهم لا يثق فيما يرى أو يسمع ، بل إن البعض منهم قد آثر الانطواء والابتعاد لجمدوا نشاطهم وأوقفوا جهودهم التى هى أساس نهضة الأمم ورقى الشعوب . وما أوصلنا إلى هذه الحال البائسة التى تودى بالمجتمع بأسره إلا تفريطنا فى كتاب الله ، وبعدنا عن منهجه ، وعدم الالتزام بما جاء فيه ، ولن ينقذنا مما

نحن فيه من تردى الأخلاق ، وتفشى الفواحش والأمراض الاجتماعية ، وما نراه من إحباط لشباب اليوم ، ان ينقذنا من ذلك سوى العودة إلى كتاب الله الكريم ننهل من معينه ونحكمه فى أمور معاشنا ، ونستهدى تعاليمه الراشدة فى حياتنا كلها .

الجانب الثالث : —

النصيحة لرسول الله ﷺ : أى تصديقه فيما جاء به ، واتباعه فيما أمر والابتعاد عما نهى ، ومعرفة سنته ، والعمل على نشرها والاهتداء بها ، وإحياء سنته وطريقته ، وبث دعوته بين الناس ، ونفى التهم عنها ، ونشر علومها ، والتفقه فيها ، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، والابتعاد عمن يحاول الابتداع فى سنته أو يتعرض لأحد من أصحابه ، فمن سار على ذلك كان ناصحاً لرسول الله ﷺ .

يقول الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » والمحبة الصحيحة تقتضى المتابعة والموافقة فى حب المحبوبات وبغض المكروهات .

قال تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) . ولذلك نجد الرسول ﷺ يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين » وذلك لأن حب الرسول يدفع إلى الالتزام بما جاء به والحرص على الاهتداء بهديه ، والسير على طريقه . وذلك المسلك القويم هو المراد بالنصيحة لرسول الله ﷺ .

الجانب الرابع : —

النصيحة لأئمة المسلمين ، وهم أولو الأمر من رؤساء وحكام وأئمة وعلماء في الدين ، ومناصحتهم معاونتهم في نشر الحق ، ومساندتهم ونصرتهم ، في إقامة أحكام الله والعمل بها ، وتذكيرهم بما فيه نفع المسلمين وتنبيههم إلى ما غفلوا عنه ، وما يحتاج إليه العباد في معاشهم ومعادهم ،والسمع والطاعة لهم في غير معصية ، وحب اجتماع الأمة عليهم ، وكراهة افتراقها عليهم ، والوقوف في وجه من رأى الخروج على طاعتهم ، والنصيحة للعلماء من المسلمين تكون في قبول ما يروونه ، وما ينصحون به ويرشدون ، والعمل بما يفتون ويقررون من أمور الدين ، وحب الاجتماع اليهم والتتلمذ عليهم ، وتوقيرهم واحترامهم واجلال منزلتهم ، والاعتراف بفضلهم ، وهذا كله فيما إذا كان أئمة المسلمين على اختلاف إمواقعهم يعملون بكتاب الله وسنته ويهدون الناس إلى طريق الرشاد والصلاح .

أما إذا كانوا لا يأتمرون بكتاب الله ولا يهتدون بسنته ، فالنصيحة لهم إنما تكون ببيان تجاوزاتهم وتوضيح ما أهملوا فيه من حقوق ، ودعوتهم إلى الحفاظ على مصالح العباد ، وإرشادهم إلى ما فيه خير الناس وسعادتهم ، وذلك في إطار النصيحة الإسلامية التي تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون تعسف أو إحداث فتنة قد تهلك الأمة وتضر بها .

وفي هذه الحال يحسن بالناصحين أن يتدرجوا في نصحهم على نحو يحقق هدفهم ولا يظهرهم في صورة الثائرين الحانقين فيتدرجون في نصحهم فيكون التعريف، ثم الوعظ، ثم التخشين في القول، فالمنع بالقهر ، ولا يجوز مع الأئمة الرؤساء والحكام وأولى الأمر إلا التعريف والوعظ، أما المنع بالقهر فلا يجوز لآحاد الأمة ، لأنه يحرك الفتنة ويهيج الشر ، وينذر بأوخم العواقب ،

وأما التخشين فى القول فإن كان الناصح لا يخاف معه إلا على نفسه فجائز بل هو مندوب إليه ، إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز [١] .

وواجب الإنسان المسلم أن يدفع بالتى هى أحسن ، وأن يحرص على أن يشيع العدل والإخاء بين الناس ، وألا يعين حاكما على ظلم أو يساعد رئيساً على شر ، أو يسكت على تجاوز أو تقصير ، فعن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط ، وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وسئل حذيفة رضى الله عنه عن ميت الأحياء فقال : (الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه) .

الجانب الخامس : —

النصيحة لعامة المسلمين ، وهى إرشادهم إلى ما فيه مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، وستر عوراتهم والدفاع عن المظلوم منهم وتقديم يد المساعدة للمحتاج منهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم ، وأن يحب الرجل لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه وأن يدفع الأذى عنهم ، ويواسى فقيرهم ، ويعلم جاهلهم ويرد من زاغ منهم عن الحق فى قول أو فعل بالتلطف فى ردهم إلى الحق ، والرفق بهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويعاونهم على البر والتقوى وما إلى ذلك من وجوه الخير التى يرضاها الإنسان لنفسه ويسعى إلى تحصيلها . ومن أعظم أنواع النصح أن ينصح لمن استشاره فى أمره كما قال ﷺ : « إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له » وفى بعض الأحاديث :

---

(١) راجع إحياء علوم الدين للغزالى — باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

« إن من حق المسلم على المسلم أن ينصح له إذا غاب » . ومعنى ذلك أنه إذا ذكر فى غيبته بالسوء أن ينصره ويرد عنه ، وإذا رأى من يريد أذاه فى غيبته كفه عن ذلك ، فإن النصح فى الغيبة يدل على صدق الناصح وإخلاصه ، فإنه قد يظهر النصح فى حضوره تملقا ويغشه فى غيبته

ويجب على الناصح أن يتحلى بحسن الخلق ، وأن يكون ورعا ، حليما يتمتع بكثير من الصبر ، والتلطف فى القول ، والترفق والحلم ، والبعد عن المراءاة ، كما يجب عليه أن يتخير الأوقات والطرائق المناسبة لنصحه وإرشاده فقد يكون الوعظ وقت الغضب والانفعال ضاراً وغير مجد ، كما ان النصيحة على الملأ تكون مدعاة للعاصى فى الاستمرار فى غيه وفساده أو الإساءة إلى الناصح وكراهيته .

ولنا فى هذا الموقف الكريم الأسوة الحسنة التى نتأسى بها ، فقد روى أن الحسن والحسين — رضى الله عنهما — أبصرا شيخا يتوضأ لكنه لم يؤده بصورته المشروعة ، فاتفقا على أن يرشداه بطريقة لا تسىء إليه فتقدما إليه وقال له أحدهما : أيها الشيخ الجليل . إنا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ، فلما فرغا من وضوئهما قال الشيخ لهما : كلاكما أحسن وضوءه ، وأنا الذى لم أحسن الوضوء ، فجزاكم الله — أهل البيت — عنا خير الجزاء .

ولذلك وجدنا السلف الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً حتى قال بعضهم : « من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهى نصيحة ، ومن وعظه على رءوس الناس فإنما وبخه » وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : « المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير » .

وإذا كانت النصيحة هى الدين فإن النصيحة تصبح واجبا وفرض عين على

كل مسلم بشرط أن يكون قادراً على ذلك بصيراً بوجوه الخير، عالما بمواطن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى تؤتى هذه النصيحة فائدتها ولا تنقلب إلى أذى فى حق المنصوح له وتضليل وإفساد له.

فالنصيحة لكتاب الله ولرسوله بمعنى الإيمان بهما فرض عين - أى واجب الزامى على كل مسلم - لأنها صنو الدين. أما البحث فى القرآن ومدارسته والتفقه فى السنة وعلومها والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم فإنها فرض كفاية - أى إذا قام بها البعض سقط الواجب عن الباقين - وذلك لقول الله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون[1]».

فلم تقل الآية «كونوا جميعا آمرين بالمعروف» ولكنها قالت: ولتكن منكم أمة - أى جماعة - ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبة لكن على سبيل فرض الكفاية لا فرض العين، فإذا قام البعض من الأمة بذلك سقط التكليف به عن الآخرين، لكن يبقى أن من قام بذلك كان من المفلحين الذين يرضى عنهم الله ورسوله ويكونون فى فلاح وتوفيق من أمرهم.

ما يرشد إليه الحديث:

١ - الدين الإسلامى قائم على التناصح، ولا دين لمن لا نصح له.

٢ - النصح للآخرين يجب أن يكون بالتوجيه إلى الاعتصام

---

(١) الآية (١٠٤) من سورة آل عمران.

بدين الله وسنة رسوله وما فيه خير الناس وصلاح أمر المجتمعات والأفراد .

٣ — الإخلاص والطاعة لأولى الأمر واجب شرعى طالما كانوا قائمين على حدود الله ، منفذين لتعاليم الشرع ، مهتمين بأمر المسلمين . فإن حادوا عن هـذا الطريق فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

٤ — يوضح الحديث حرص المسلمين على معرفة أمور دينهم ، وذلك بسؤالهم لمن تكون النصيحة ، مما يدعونا إلى التأسى بهم بالحرص على مجالسة العلماء لمدارسة أمور ديننا واسؤالهم عما يوضح لنا حقائق العقيدة ، ويهدينا إلى الطريق القويم .

الحديث السابع

« كراهية الإسلام للفضول »

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . « رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان » .

الراوي :

أبو هريرة وقد سبق التعريف به .

وقد رواه قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة وصحح طرقه ، ثم قال في هذا الحديث : هذا من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة ، في الألفاظ القليلة .

المفردات :

من حسن : الحسن في الأصل الجمال وهو ضد القبح وضد السوء .

المرء : مقصود به الرجل والمرأة لاستوائهما أمام الشريعة في التكاليف والواجبات الشرعية .

وحسن إسلام المرء : يقتضي كمال الإسلام وليس الحسن من جوهر الإسلام ولا جزءا داخلا في ذاته ، وليس كذلك شرطا من شروط صحته .

اللغويات :

من حسن : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، إسلام : مضاف إليه أيضا .

تركه : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف ، والهاء مضاف إليه في محل جر من إضافة المصدر إلى فاعله وهو ضمير عائد على المرء . والخبر واجب التقديم لأن المبتدأ اشتمل على ضمير يعود على شيء في الخبر ، ويجب أن يعود الضمير على متقدم في الكلام .

مالا يعنيه : ما : اسم موصول في محل نصب مفعول به للمصدر .

لا : حرف نفي مبني على السكون .

يعنيه : يعني فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على آخره ، والهاء في محل نصب مفعول به ، وفاعله ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على المرء .

التعبير البلاغي :

هذا الحديث من جوامع الكلم ، حيث تأتي المعاني الكثيرة الجليلة في ألفاظ قليلة من أقرب سبيل ، وهذا مما اختص به رسول البشرية محمد ﷺ ، هادفة إلى المراد منها . فقد كان عليه الصلاة السلام المثل الأعلى في فصاحة الكلام وبلاغته ألهمه ربه السداد والتوفيق في أقواله وأفعاله ، وأنزل عليه آياته البينات ، وأتم عليه نعمة الحكمة ، فكان حديثه نورا يهدي الناس إلى سواء السبيل ، وهداية لهم ونبراسا يضيء طريق النجاة ، وبيانا ينطق بالحجة والقول الفصل . وقد تقدم الخبر « من حسن ... » في هذا الحديث ، لما في هذا التقديم من تشويق للمتلقي وحفز إلى سماع المبتدأ وتشوف إلى التعرف عليه .

ومالا يعنيه : أوثر التعبير « بما » الموصولة لإفادة التعميم ، حيث يدل هذا الاستعمال على أن المطلوب تركه كل مالا يعني المرء من قول أو فعل قل ذلك أو كثر ، عظم أو حقر .

مع أسلوب الحديث :

كما سبق أن قلنا فإن هذا القول الموجز من قول الرسول ﷺ من جوامع الكلم التى تميزت بها أقوال المصطفى ﷺ وما أكثرها ، وهى تقوم على القول الحكيم ، أو التشبيه البليغ ، أو الاستعارة الرائعة ، أو المثل البارع. وهذا الحديث على قلة ألفاظه إنما ينظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ويدعو إلى الالتزام الأخلاقى الكريم فى التعامل بين الأفراد ، وذلك على أساس من المبدأ الإسلامى السمح : « لاضر ولا ضرار » فإذا ما قصر الإنسان اهتمامه على شئونه الخاصة لا يتعرض لأسرار غيره ومشاكله الا أن يطلب معاونته فى حلها ولا يتتبع أخبار الناس وعوراتهم فيشغل بها وقته سعد الناس وأمنوا واستقرت حياتهم وقامت علاقة الحب والإخاء والمودة بينهم جميعا .

ومن فى قوله ﷺ : « من حسن إسلام .. » إما أن تكون للتبعيض فيكون المقصود أن ترك ما لا يعنى بعضا من حسن الإسلام ، أما بعضه الآخر فهو فعل ما يعنى . وإما أن تكون للبيان . فيكون المعنى أن حسن الإسلام هو ترك ما لا يعنى .

المعنى العام :

هذا الهدى النبوى الشريف يوجهنا نحن المسلمين — خاصة — الى أن يضع الإنسان أمام ناظريه دائما ألا يضيع وقته فيما لا يعود عليه بالنفع وأن يشغل نفسه بكل ما يجنى من ورائه نفعاً يرتضيه دينه وأن يهتم بكل محمدة وفضيلة ، وأن يتأدب بالكمالات ، ويباعد بينه وبين النقائص حتى تقوم علاقة الحب بينه وبين الناس ، ويعصم نفسه من الوقوع فى الآثام واقتراف الذنوب حتى

لا يباعد الانسان بينه وبين رحمة الله. فقد روى عن الحسن أنه قال: « من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه » . وقال مالك ابن دينار : إذا رأيت قساوة فى قلبك ، ووهنا فى بدنك ، وحرماناً فى رزقك ، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك ». وقال أبو ذر قال لى رسول الله ﷺ : « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان » ؟ قلت بلى يا رسول الله . قال هو الصمت وحسن الخلق وترك مالا يعنيك » ويقول أبو هريرة : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم ؛ وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها فى أعلى الجنة » .

ولهذا يقول عطاء بن أبى رباح : « إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ، أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو أن تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لابد منها » .

وكما هو معروف فإن فضول الكلام لا حصر له ، بل المهم هو المعروف والمحصور فى كتاب الله تعالى حيث قال : « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ، أو معروف أو إصلاح بين الناس » ، وترك ما يعنى صورة من مجاهدة النفس ، التى هى أولى خطوات الإنسان المؤمن على طريق الهدى والتقوى ، ففى ترك ما لا يعنى إبعاد للنفس من مسالك الانحراف ، وتخليص لها من الهوى ، واستنقاذ لها من مسالك الشيطان فتنصرف إلى الحق ، وتستقيم فى امرها . والوصول إلى هذه الصورة ليس ميسوراً لكل إنسان ، فإن مجاهدة النفس أمر شاق ، وضبط الميول والنزعات صعب شديد ، إلا على من درب نفسه على السلوك الأمثل ، ووطنها على المراجعة ، وإذا وضع الإنسان أمام ناظريه أنه مهما طال عمره فإن أجله محدود ، وأن كل لحظة من هذه

الحياة محسوبة عليه إن هو أضاعها فيما لا يفيد ، كان ذلك دافعا له إلى البعد عما لا يعنيه من قول أو عمل أو الخوض فيما يوقع فى معصية الله .

فقد قال تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » . والمؤمن لا يكون صمته إلا فكراً ، ونظره إلا عبرة ، ونطقه إلا ذكراً .

وقد جعل الحديث الشريف ترك ما لا يعنى من الإسلام ، لأن الإسلام يظهر للناس دون غيره من الإيمان والإحسان ، فهو يتأتى بظاهر الأعمال والتكاليف ، ولهذا يصح أن يرى فيه فعل وترك .

ويكفى أن من يشغل نفسه بما لا يعنيه يضيع وقته فيما لا فائدة منه ويضع نفسه فى موضع المؤاخذة واقتراف الآثام . وأن من يترك ما لا يعنيه ويشغل نفسه بما يعنيه يجد طمأنينة فى نفسه وراحة فى قلبه . لأنه يأتمر بأمر الله ورسوله وينهج الطريق السوى للإنسان المسلم الحريص على التمسك بكل ما ينفعه فى دينه ويجعله فى طاعة الله ورضوانه ، وهذا الحديث ينحو باللائمة على الثرثارين المتشدقين بالكلام ، الذين لا يجدون راحة ولا سعادة إلا فى اختلاق المشكلات التى تعرضوا لحلها ، والقضايا التى واجهوها بحزم وجرأة ، متصورين أنهم بذلك يخلقون من أنفسهم أبطالا ، وهم فى الحقيقة واهمون . كذلك الذين يتطاولون على الآخرين فى أقوالهم وأفعالهم ويدسون أنوفهم ليتحسسوا أخبار زملائهم وجيرانهم ، ويتخذون من ذلك سبيلا للتشهير بهم ، والنيل منهم ، هؤلاء وغيرهم من الثرثارين المتقولين إنما يكذبون على أنفسهم أولا لأن ما تحدثوا به لم يحدث ولم يفعلوه ويكذبون على الناس وعلى الله ثانيا ، ثم إنهم يضعون أنفسهم فى موضع الصغار والاحتقار من ذويهم ومعاشريهم ومن يتعاملون معهم حيث يشتهرون بينهم ببذاءة القول والاحتقار إلى مهاوى الرذيلة

وفى الوقت ذاته يستوجبون غضب الله وعذابه فتكون الحصيلة النهائية لحياتهم الخسران فى الدنيا والآخرة .

ما يؤخذ من الحديث :

١ — على المسلم أن يعنى بأموره ، وأن يؤدى واجباته كما ينبغى أن تؤدى ، وبذلك يشغل وقته فيما يعود على نفسه وعلى مجتمعه بالنفع .

٢ — على الإنسان ان يستغل أوقاته استغلالا طيبا يتفق مع ما أحل الله ، فإنفاق لحظة من لحظات حياته فيما لا يجدى إضاعة للحياة نفسها .

٣ — واجبات الإنسان تستغرق وقته كله ، فيجب أن يعكف على أدائها وألا يشغل نفسه بغيرها لأن تدخل الإنسان فى أمور غيره منهى عنه وعمل لا يليق بخلق المرء المسلم .

٤ — من يشغل نفسه بعيوب الناس وكشف مستورهم فاته الكثير من الخير وأوقع نفسه فى معصية الله .

الحديث الثامن

« من كمال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك »

عن أبي حمزة أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ خادم رسول الله ﷺ ـ عن النبي ـ ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . رواه البخاري ومسلم

راوى الحديث :

هو أنس بن مالك بن النضر . . . ابن النجار خادم رسول الله ﷺ فعندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة مهاجرا ذهبت أم سليم بابنها أنس ـ وكان سنه حوالى تسع سنوات ـ إلى رسول الله ﷺ وقالت : يا رسول الله ، هذا ابنى وهو غلام كاتب ، قال أنس : فخدمته تسع سنين ، فما قال لى لشىء قط صنعته : أسأت أو بئس ما صنعت . وكان مما قاله أنس أيضاً : خدمت رسول الله ﷺ فما سبنى قط ، وما ضربنى ، ولا انتهرنى ولا عبس فى وجهى ، ولا أمرنى بأمر فتوانيت فعاتبنى عليه ؛ فإن عاتبنى أحد قال : دعوه فلو قدر الله شيئاً كان .

وأنس من المكثرين فى رواية الحديث عن رسول الله ﷺ وقد روى عنه ابن سيرين وقتادة ، والحسن البصرى ، والزهرى ، وغيرهم .

وقد كان لهذه الصلة أثرها العظيم . حيث كان الرسول يحبه الحب كله ويوجه إليه النصائح التى تنفعه فى دينه ودنياه ، ومن ذلك قوله ﷺ له وهو يصب الماء على يديه : « ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها ؟ قال أنس : بلى بأبى

وأمى أنت يارسول الله . قال عليه الصلاة والسلام : متى لقيت من أمتى أحداً فسلم عليه يطل عمرك ، وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين والأبرار » . وكناه رسول الله ﷺ : « أبا حمزة » باسم بقلة كان يحب اجتناءها ، وهى بقلة فيها حموضة .

خرج أنس مع رسول الله ﷺ وهو غلام يخدمه ، ولذلك لم يعد من أصحاب بدر لأنه كان فى سن من لم يقاتل . وغزا مع الرسول ﷺ بعد بدر ثمانى غزوات ثم شهد بعد وفاته ﷺ الفتوحات الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين .

دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد وطول العمر حيث دعا له ﷺ بقوله : « اللهم أكثر ولده ، وماله ، وأطل عمره ، واغفر ذنبه - وفى بعض الروايات بدلا من اغفر ذنبه - وأدخله الجنة » .

يقول أنس : لقد رزقت من صلبى سوى ولد ولدى خمسة وعشرين ومائة ولد(١) وإن بستانى ليثمر فى السنة مرتين ، وفيه ريحان يجىء منه كريح المسك ولقد بقيت حتى سئمت الحياة ، وأنا أرجو الرابعة » .

وقد أقام أنس بالمدينة ، ثم انتقل إلى البصرة ، وبنى له قصرا على مسافة فرسخين - عشر كيلو مترات تقريبا - منها وقد اختلف فى وقت وفاته ومبلغ عمره . فقيل توفى سنة إحدى وتسعين من الهجرة وقيل سنة اثنتين وتسعين ، وقيل سنة ثلاث وتسعين ، وكان عمره على أرجح الأقوال تسع وتسعون سنة .

---

(١) منهم ابنتان ، وتوفى أنس رضى الله عنه عن سبعة وعشرين ولداً ، كما يفهم من حديث له يقول فيه : « دفنت من صلبى مائة إلا اثنين » .

على أساس أنه التحق بخدمة الرسول ﷺ وهو ابن تسع وتوفى سنة ثلاث وتسعين من الهجرة . وهو آخر من توفى بالبصرة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودفن بقصره هناك وصلى عليه قطن بن مدرك الكلابى .

المفردات :

لا يؤمن : الإيمان فى الأصل مطلق التصديق ، وهو مرتبط بالاعتقادات الباطنة ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره . أما الإسلام فهو أعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل كالشهادتين ، وأداء الصلاة ، وإيتاء الزكاة ونحو ذلك من التكاليف الشرعية .

أحدكم : أى الواحد منكم ، من الرجال والنساء ، والضمير فيه لأمة الإجابة .

لأخيه : الأخ هنا مراد به الأخ فى الإنسانية أو فى الإسلام . فإن إضافة « أخ » إلى الضمير تفيد العموم ، أى لكل أخ له فى الإسلام أو فى الإنسانية .

لنفسه : أى لذاته وشخصه .

اللغويات :

حتى يحب : حتى لها ثلاثة معان : انتهاء الغاية وهو المعنى الغالب فيها . وذلك كقولنا : لن نتوقف عن المسير حتى نصل إلى نهاية الطريق وتأتى للتعليل كقولنا : اجتهد حتى يوفقك الله ، والثالث الاستثناء وهو قليل . وهى هنا يصح أن تكون لانتهاء الغاية ويكون المعنى « لا يؤمن أحدكم الإيمان الكامل إلى أن يتخلق بهذه الصفة ، وتكون للاستثناء على تقدير « لا يؤمن أحدكم . . . إلا أن يحب لأخيه مثل الذى يحبه لنفسه » .

والفعل بعدها منصوب ولا يجوز رفعه . لأن النحاة شرطوا الرفع أن يكون الفعل حالا أو مؤولا بالحال ، وأن يكون مسبباً عما قبله ، وأن يكون فضلة . وحبك لأخيك ما تحبه لنفسك ليس مسبباً عن عدم الإيمان وليس عدم الإيمان سبباً فى هذا الحب ، كما لا يجوز عطف الفعل على ما قبله لأنه لم يقصد نفى الحب ولا استبعاده .

ما يحب : ما : اسم موصول بمعنى الذى فى محل نصب مفعول به ، ويحب فعل مضارع مرفوع بضمة ظاهرة على آخره ، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على (أحد) .

التعبير البلاغى :

لا يؤمن : المراد بنفى الإيمان هنا : نفى بلوغ حقيقته ونهايته فإن الإيمان كثيراً ما ينفى لانتفاء بعض أركانه وواجباته . كقول النبى ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » وقوله ﷺ : لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » .

ولذلك نجد تخريج الإمام أحمد للحديث بلفظ : (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير) .

فالمراد بنفى الإيمان فى الحديث نفى الإيمان الكامل وذلك لأن الإيمان يتحقق بما نص عليه الرسول ﷺ بقوله : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

مع أسلوب الحديث :

هذا التوجيه النبوى الكريم . يضع الإنسان المسلم أمام واجبه الإنسانى فيجعل محبة الخير للناس كمالا فى إيمان المرء ، ويدفع به إلى مجاهدة النفس فى سبيل تحقيق الكمال الإيمانى ، وفى سبيل إقامة علاقة المودة والإخلاص الكامل بين المسلمين جميعهم ، ولذلك نراه ينفى عن المسلم كمال إيمانه إن لم يحرص على أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

و (ما) هنا تعنى أى شىء عظيما كان ذلك أو يسيراً ، فيحب له من الطاعات والأشياء المباحة ما يحب لنفسه منها ، ويكره له من المعاصى وما يوقع فى الآثام ما يكره لنفسه أن يقع فيها أو يقترفها .

بل إننا نجد هذا الحديث وإن كان ظاهره التساوى يتجه إلى التفضيل ويدعو إليه كما يقول بذلك أبو الزناد ، وذلك لأن الإنسان بطبعه يحب أن يكون أفضل الناس ، فإذا أحب لأخيه مثله ، فقد دخل هو فى جملة المفضولين ألا ترى أن الإنسان يحب أن ينتصف من حقه ومظلمته ؟ . فإن أكمل إيمانه وكان لأخيه عنده مظلمة أو حق بادر إلى إنصافه من نفسه ، وإن كان عليه فيه مشقة . ويحكى أن الفضيل بن عياض قال لسفيان بن عيينة : إن كنت تريد أن يكون الناس مثلك فما أديت لله الكريم النصيحة ، فكيف وأنت تود أنهم دونك ؟

والشخص الذى يقيم علاقاته بالناس على أساس من حب الخير لهم وكراهية ما يكره لنفسه شخص طاهر القلب . سليم الإدراك ، وكان الله فى عونه (فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه) و (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

هكذا علمنا الرسول ﷺ فى هديه وتوجيهه النبوى ، وطالبنا ربنا جلت قدرته بالتعاون على الخير فقال : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

حول معنى الحديث :

يحرص الإسلام على أن يقوم المجتمع الإسلامى على أساس من المحبة والتعاون الصادقين . ولا يتحقق ذلك الا بالعلاقه الطيبة بين أفراد المجتمع .
وخير مايوطد هذه العلاقة وينميها أن يحب كل إنسان لأخية الإنسان مايحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه فكل فرد يحب لنفسه وفرة المال ، وكمال الصحة ، وحسن الأحدوثة ، وسمو القدر ، والمكانة المرموقة فى العمل . وكل شخص يريد أن يستمتع بطيبات الحياة فى الطعام والملبس والمسكن ، ويحرص على حياته وماله ، ويحافظ على كرامته وحريته فإذا ما وسع دائرة هذا الحب وجعل حبه لتلك الأشياء وتمنى تحققها له ولأخيه المسلم فهو انسان كامل الإيمان عقيدته صحيحة ، وخلقة كريم ، أما الأثرة والجشع وحب الذات فإنها مسلك غير قويم ، وخلق يأباه الاسلام ، إذ يستحل لنفسه ما يحرمه على غيره ، ويحرص على احتكار المنافع له ولذويه دون غيره من الناس ، ويدل ذلك على نفس مريضة ، وعقيدة مهتزة ، وإيمان ناقص . فالمؤمن من يسره ما يسر أخاه المؤمن ويحزنه . وأن يشارك المؤمنون جميعهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شىء ، فقد مدح الله تعالى فى كتابه العزيز من لا يريد العلو فى الأرض ولا الفساد فقال : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً » .
وإن المسلم يرتقى فى سلم المحبة حتى يحب الله سبحانه وتعالى ، فإذا أحب الله تخلق بما يدعو إليه ، وحاول أن يكتسب منها الصفات الكريمة ومنها :

الحب والرحمة ، ومن أحب الله أحب شريعته ، ومن شريعته أن يخلى المسلم نفسه من شواغل الشهوة ، وأن يتصدى للهوى وشيطانه وأن يتأسى بقول رسول الله ﷺ فى قوله وفعله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » . ورواية الحديث بروايات متعددة تدل على حرص الرسول ﷺ على أن يصنع الإنسان الخير مع أبناء البشر جميعهم سواء أكانوا إخوة فى الإسلام أو فى الإنسانية ، وسواء أكانوا رفقاء وجيرانا أم كانوا أهلا وعشيرة . فقد جاءت بعض روايات الحديث هكذا : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه » ، و « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير » و « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه » ، و « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو لجاره - ما يحب لنفسه » : وأحاديث الرسول ﷺ الأخرى كثيرة فى هذا الاتجاه . فعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » أى الذى لا يأمن جاره شروره وإساءاته وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته - حرفته - ويحوطه من ورائه » .

فالمؤمن يتوخى دائماً أسباب التواصل والمودة ، ويعمل على تقوية الروابط بينه وبين الآخرين ، وإشاعة الألفة والمحبة بينه وبين الناس أجمعين وهو يجتهد فى أن يرتفع عن الدنايا والصغائر ، وأن يرتقى بالسلوك البشرى ، ويتحرك فى سبيل تنمية العلاقات الأخوية وإرسائها على المحبة الدينية ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وإذا كرهه لا يكرهه الا لله . ولو قامت العلاقة بين الناس على هذا المبدأ الإسلامى الكريم ما وجد فى مجتمعنا بائس ولا محروم ، وما حيكت المؤامرات والدسائس ، ولاطمأن كل فرد على ماله

وعرضه وحقوقه ، ولاختفت الجرائم والاعتداءات على الأنفس والأموال ، وانصرف الناس إلى العمل المنتج وكانوا إخوة متعاونين فى السراء والضراء .

ما يشير إليه الحديث :

١ – من كمال الإيمان أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه .

٢ – على المرء أن يكره لأخيه ما يكره لنفسه من كل نقيصة أو شر أو سيئة

٣ – يجب أن نتخذ محبة الخير للناس وكراهية الشر لهم قاعدة أساسية فى تعاملنا مع الآخرين ، وأن نسعى إلى ذلك ما وسعنا ، بأن نبذل ما نستطيع فى سبيل جلب الخير لإخواننا ودفع الضرر عنهم .

٤ – من التزم بحب الخير للآخرين ودفع الضرر عنهم كان فى مرتبة عالية من مراتب الإيمان ، وهو فى الوقت ذاته فى طاعة الله ورضوانه .

الحديث التاسع

كمال الإسلام :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

رواه مسلم بهذا اللفظ

وجاء فى الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

وخرج الطبرانى من حديث كعب عن عجرة عن النبى ﷺ قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كربه نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته ، ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته » .

وخرج الإمام أحمد من حديث سلمة بن مخلد عن النبى ﷺ قال : « من ستر

مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، ومن نجى مكروباً فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » .

المفـردات :

نفس : أزال ، وفرج ، ووسع .

كربة : ـ بوزن غرفة ـ الضيق والحزن الذى يأخذ الإنسان بسبب معاشه وما يحتاج إليه .

يسر على معسر : سهل له وسيلة للتغلب على إعساره .

سلك : سلك الطريق سلكا وسلوكاً : دخل فيه ، وسلك الطريق وسلك فى الطريق وبالطريق ، يسلك سلوكاً : دخل وذهب فيه .

سهل : يسر وأزال صعوبته .

يتدارسونه : يتدرسونه ويفهمونه بعناية .

السكينة : الطمأنينة والراحة النفسية .

غشيتهم : وافتهم وأحاطت بهم .

أبطأ : أخره وكان سبباً فى تخلفه .

اللغويات:

من : يحتمل أن تكون شرطية ، فيكون فعل الشرط « نفس عن مؤمن » وجوابه : « نفس الله عنه » ويحتمل أن تكون موصولة وهى فى هذه الحالة

مبتدأ فى محل رفع ، وخبره جملة : « نفس الله عنه . » ، ومثلها فى هذا الجملتان التاليتان لها ، المصدرتان بمن .

والله فى عون العبد : لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره وجملة : « ما كان الله فى عون أخيه » خبر المبتدأ .

يتدارسونه : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، معطوف على « يتلون » والواو فى محل رفع فاعل ، والهاء فى محل نصب مفعول به ، تعود على كتاب الله .

التعبير البلاغى :

نفس عن مؤمن كربة : فى لفظ نفس استعارة ، حيث شبه تخفيف الأحزان والمشاركة فى حل مشكلات الآخرين بالتنفيس الذى هو مأخوذ من تنفيس الخناق أى إرخاؤه عن الدابة وغيرها حتى تأخذ نفسا .

من سلك طريقاً : فى لفظ طريق مجاز مرسل علاقته المحلية إذ الطريق لا يطلب العلم به ، وإنما يطلب العلم فى مجالسه ، والطريق يئول بصاحبه إلى المجلس ويمكن أن تكون العلاقة سببية ، باعتبار أن سلوك الطريق سبب فى سلوك المجلس .

من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه : فى الفعلين مجاز استعارة ، وفى الجملتين مجاز عقلى فى الإسناد ، إذ أسند الفعلين إلى سببهما وهما العمل والنسب ، والاستعمال الحقيقى يقول : من تأخر فى عمله لم يتقدم بسبب نسبه ، والعدول عن الحقيقة إلى المجاز فيه إشارة إلى أن قيمة الإنسان ليست بشىء من النسب ، وإنما قيمته عند الله بالعمل وما قدمت يداه .

وفى الجملتين أيضاً طباق وتوازن لفظى يضفى على النطق جمالا ويحمل للإيقاع الصوتى أثره القوى فى النفس المتلقية .

مع أسلوب الحديث :

هذا حديث طويل يجمع فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال ، أو معاونة إشارة بمصلحة ، أو نصيحة أو غير ذلك وقد صدر بقوله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » وفى هذا إشارة واضحة إلى أن الجزاء من جنس العمل وإن كان الجزاء أوفى وأشمل ، فمن خفف عن أخيه المسلم شدة وقع فيها كان جزاؤه تخفيف أهوال يوم القيامة وشدائده (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) و (يوم يجعل الولدان شيبا) هنا تتنزل رحمات الله على هؤلاء الذين قدموا العون والمساعدة لإخوانهم فى الحياة الدنيا ، وشتان ما بين العمل والجزاء ـ لكنها رحمات الله وأفضاله لأوليائه الصالحين ، وقد تكاثرت النصوص التى جاءت بهذا المعنى ـ الجزاء من جنس العمل ـ فمنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما يرحم الله عباده الرحماء » وقال « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » .

لكننا نلاحظ أبداً أن جزاء الله أوفى والثواب أعم وأشمل فعن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً : « أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً من عرى كساه الله من خضر الجنة » .

كربة من كرب يوم القيامة : لم يقل من كرب الدنيا والآخرة ، لأن الكرب فى الدنيا مهما عظمت فهى بالنسبة إلى كرب يوم القيامة لا تساوى شيئاً ، فادخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده لينفس به كرب يوم القيامة .

والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه : إجمال وتلخيص للتعامل الإنسانى الكريم فى شتى مناحى الحياة . من المؤازرة والمناصرة والسعى إلى خير الآخرين والعمل على إسداء النصح لهم ، ومعاونتهم فى كل ما يعترض حياتهم ، وغير ذلك من المواقف الإنسانية الكريمة التى تجعل المرء فى عون أخيه ومؤازرته .

ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً : بيان لأهمية العلم والتعليم ، وحث للمسلمين على السعى فى طلب العلم والبحث عنه ، وبذل كل جهد فى سبيل تحصيله والوصول إليه ، والعلم هنا ، وإن أريد به العلم الشرعى أولا إلا أنه يضم جميع العلوم النافعة لبنى البشر ، والتى تنهض بحياتهم وتكون طريقاً إلى معرفة قدرة الله وحكمته فى خلقه وملكوته .

ولهذا عبر الرسول ﷺ بلفظ العلم مجرداً من كل متعلق ليشمل كل شىء يمكن تعلمه فى الدين أو فى الدنيا. وجزاء طلب العلم هو أن يسهل الله له به طريقاً إلى الجنة وذلك بأن يسهل الله له العلم الذى طلبه وسلك طريقه وييسره له ، فإن العلم طريق يوصل إلى الجنة ، أو أن يهديه الله بسبب علمه ويوفقه إلى الطاعات والعمل بما علم فيكون ذلك موصلا إلى الجنة .

وفى هذا دفع إلى طلب العلم إذ إن جزاءه وعد من الله الذى لا يخلف وعده وهو الفوز بالجنة ، وما أعظمه من جزاء .

وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله . . . : استعمل كلمة « قوم » نكرة ليعم بها كل من اجتمع من أجل مدارسة كتاب الله سواء كانوا علماء أو غير علماء ، وسواء كانوا حفظة للقرآن أم غير حفاظ .

حول معنى الحديث :

فى هذا الحديث الجامع يدعونا رسول البشرية ﷺ إلى التعاون على الخير بكل مدلولاته ، وإلى طلب العلم بصفة خاصة ، وتلاوة القرآن ومدارسته وإلى الاعتماد على العمل لا على الأصل والنسب والجاه .

(ا) فالتعاون على الخير بكل مدلولاته قد جاء فى صدر الحديث النبوى حتى قوله ﷺ : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » وذلك أنه يرغب فى تفريج أحزان المؤمن وغمومه ، وفى التيسير عليه إذا كان معسراً بأن يقضى عنه ما عليه من دين ، ويقدم له ما يحتاج إليه ، ويسعى إلى مؤازرته ومناصرته ، ثم فى الستر عليه إذا اطلع منه على حاجة أو عثرة ، وذلك بألا يتحدث عن عثرته ، ولا يعيره بحاجته ، كما يكون فى عون أخيه ومؤازرته .

١ - (فمن نفس عن مؤمن كربة ... نفس الله عنه كربة ...) فقد ادخر الله عنده جزاء تنفيس الكرب لينفس به كرب الآخرة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ولذلك ينبغى على العقلاء الذين يحرصون على آخرتهم وما أعده الله لهم فيها ، أن يتنبهوا لهذا الجزاء العظيم ، ويسعوا جهدهم فى معاونة إخوانهم ومناصرتهم حتى يتحقق لهم هذا الجزاء الأوفى .

٢ - ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة : سبيل آخر من سبل المؤازرة والمناصرة الإنسانية .

فالذين يخففون عن الآخرين آلامهم وعنتهم ، وما نزل بهم من متاعب أو مصائب هم أشخاص متعاونون فى سبيل خير الأمة ، وهم فى قضاء حاجات

المأزومين وذلك بإنظار المعسر إلى ميسرة ، أو بإعفائهم من ديونهم أو من بعضها ، أو بمساعدته على تسديد ديونه الآخرين ، وذلك كله مدخر للإنسان مأجور عليه .

ففى الصحيحين : أن حذيفة وأبا مسعود الأنصارى سمعا النبى ﷺ يقول : « مات رجل فقيل له : بم غفر الله لك ؟ . فقال : كنت أبايع الناس فأتجاوز عن الموسر وأخفف عن المعسر » .

ومن حديث أبى قتادة عن النبى ﷺ قال : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر ، أو يضع عنه » . ومن حديث أبى اليسر عن النبى ﷺ قال : « من أنظر معسراً ، أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » .

وعن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « من أراد أن تستجاب دعوته أو تكشف كربته فليفرج عن معسر » .

٣ - ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة : أى من اطلع على زلة أو هفوة وقع فيها أخ له فى الدين لم يفضحه ولم يتحدث بزلته وذلك إذا علم بذلك بعد حدوثها ، أما لو رآه حال التلبس بها فيستره منكراً عليه وينهاه فإن لم ينته رفع أمره إلى المسئولين ، ولا يكون ذلك من الغيبة المحرمة ، بل يكون من النصيحة الواجبة .

فالناس فى هذا على فريقين : فريق كان مستوراً لا يعرف بشىء من المعاصى فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فى قول أو فعل فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها لأن ذلك غيبة محرمة ، والفريق الثانى من كان مشهوراً بالمعاصى معلنا بها لا يبالى بما ارتكب منها ولا بما قيل له فهذا هو

الفاجر المعلن ، وليس له غيبة كما نص على ذلك الحسن البصرى وغيره . ومثل هذا لا بأس من البحث عن أمره لتقام عليه الحدود . ومثل هذا لا يشفع له إذا أخذ وضبط بمعصيته بل يترك حتى ينكشف ستره ويرتدع به أمثاله .
قال مالك : « من لم يعرف منه أذى للناس ، وإنما كانت منه زلة فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ الإمام ، وأما من عرف بشر أو فساد فلا أحب أن يشفع له أحد ولكن يترك حتى يقام عليه الحد » .

٤ ـ والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه : وفى حديث ابن عمر : « ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » وذلك كإصلاح ذات البين ، وإغاثة الملهوف وإعانة ذى الحاجة ، واتباع الجنائز ، وعيادة المريض ، وإسداء النصح ، وإجابة الداعى ، وإرشاد الضال ، وكل عمل يكون مظهراً للترابط الإسلامى والتناصح الأخوى .

فقد بعث الحسن البصرى قوماً من أصحابه فى قضاء حاجة لرجل وقال لهم : مروا بثابت البنانى فخذوه معكم ، فأتوا ثابتا فقال : أنا معتكف فرجعوا إلى الحسن فأخبروه . فقال : قولوا له يا أعمش أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة ، فرجعوا إلى ثابت ، فترك اعتكافه وذهب معهم .

(ب) أما بقية الحديث فقد اتجهت إلى الدعوة إلى طلب العلم ، ومدارسة القرآن ، والحث على العمل .

١ ـ فالدعوة إلى طلب العلم فى قوله ﷺ . « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » وهناك أحاديث أخرى فى الحث على طلب العلم منها ما رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « ما من رجل يسلك طريقاً يطلب فيه علما . إلا سهل الله به طريق الجنة » .

ومنها ما رواه أبو الدرداء رضى الله عنه حيث يقول ، قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم » . وما روى عن أنس أنه قال ، قال رسول الله (ﷺ) : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » . وكلها توضح حرص الرسول ﷺ على انتشار العلم ، وشغل النفس بطلب العلم ، ودعوته الدءوبة للمسلمين أن يجدوا فى طلب العلم والسعى فى سبيل تحصيله . وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقى ، وهو المشى بالأقدام إلى مجالس العلماء ، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثل حفظه ومدارسته ومطالعته وكتابته وفهمه .

وهذه الدعوة من رسول البشرية والاهتمام بها تدل على أهمية العلم ومكانته . إذ إنه وسيلة الإنسان والمجتمعات والدول إلى الرقى الفكرى ، والتقدم العلمى ، والرخاء الحضارى ، وإن الجهل هو سبب كل تخلف وتدهور فى الفكر والاقتصاد والأخلاق :

والعلم طريق معرفة الله الحقة . فمن سلك طريقه ولم ينحرف عنه وصل إلى الله من أقرب طريق ، ولهذا تمتلىء قلوب العلماء بخشية الله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ولا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته فى الآخرة إلا بالعلم النافع الذى بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، فهو الدليل عليه وبه يهتدى فى ظلمات الجهل والشبه والشكوك . ولهذا سمى الله كتابه نوراً لأنه يهتدى به فى الظلمات قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . ومثل النبى (ﷺ) حملة العلم الذى جاء به بالنجوم التى يهتدى بها فى الظلمات . فى

المسند عن أنس عن النبي (ﷺ) قال : « إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة ، ومادام العلم باقيا فى الأرض فالناس فى هدى » .

وبقاء العلم ببقاء حملته ، فإذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس فى الضلال ، كما فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبى (ﷺ) قال : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ، ولكن بقبضة العلماء ، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

٢ — أما الدعوة إلى تلاوة القرآن ومدارسته فقد خصها رسول الله ﷺ بقوله : (وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده) . وهذا عمل عظيم وجزاؤه أعظم . فمدارسة القرآن وتلاوته فى تجمع دينى يستوجب من الله أن ينزل رحماته على المجتمعين ، وتحيط بهم الملائكة ، ويذكرهم الله فيمن عنده ، وذلك فضل الله العميم الذى يناله المتحلقون حول مائدة الرحمن فهم خير خلق الله كما جاء فى صحيح البخارى عن النبى ﷺ أنه قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) . ولنا هنا وقفة مع الجلوس فى المساجد وتلاوة القرآن فيه : فالحديث هنا ينص على استحباب الجلوس فى المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته وهذا ولا شك أمر مقرر ولا تحفظ عليه . وذلك لأن بيوت الله أولى بأن يتحلق بها طلاب العلم والمعرفة وأن يجتمعوا حول مائدة الله لينهلوا منها . وقد كان رسولنا الأعظم يجتمع بالمسلمين فى المسجد ليعلمهم ويفقههم فى دينهم ويقضى بينهم ، ويتعرف على مشكلاتهم . ولنا فى رسول الله

أسوة حسنة . هذا بالإضافة إلى أنه ورد عن الرسول (ﷺ) أنه كان يطلب من بعض الصحابة أن يسمعه القرآن وهو جالس بالمسجد فقد كان ابن مسعود يقرأ عليه القرآن في المسجد لأن الرسول كان يقول له : « إني أحب أن أسمعه من غيري » . وكان عمر يأمر من يقرأ عليه وعلى أصحابه وهم يستمعون ، فتارة يأمر أبا موسى ، وتارة يأمر عقبة بن عامر . وسئل ابن عباس أي العمل أفضل ؟ قال : « ذكر الله ، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتعاطون فيه كتاب الله فيما بينهم ويتدارسونه إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها وكانوا أضياف الله ما داموا على ذلك حتى يخوضوا في حديث غيره » . وروى يزيد الرقاشي عن أنس قال : كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقا حلقا يقرءون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن ويذكرون الله تعالى . وروى عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « ما من قوم صلوا صلاة الغداة ثم قعدوا في مصلاهم يتعاطون كتاب الله ويتدارسونه إلا وكل الله بهم ملائكة يستغفرون لهم حتى يخوضوا في حديث غيره » . هذه النصوص وغيرها كثيرة تدل دلالة قاطعة على استحباب الاجتماع في المساجد لمدارسة القرآن وذكر الله تعالى بل إن الله تعالى يباهي ملائكته بهؤلاء الذين يجتمعون في المسجد لمدارسة القرآن وذكر الله تعالى وينزل مغفرته عليهم جميعا حتى لو كان فيهم من جاء لحاجة أو انضم إلى مجلسهم . ففي حديث طويل يرسل الله سبحانه وتعالى ملائكته يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فيسأل الله ملائكته عما يفعل هؤلاء المجتمعون وماذا يطلبون وفي خاتمة الحوار الرباني مع ملائكته يقول الله تعالى لملائكته : « أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجته ، قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم » .

فنعمة القرآن وحفظه والجلوس إلى مائدته من أجل النعم على الإنسان ولا شك

نجد الرسول ﷺ يقول لا حسد إلا فى اثنتين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا ، فهو يهلكه فى الحق ، فقال رجل ليتنى أوتيت ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل » .
فمن أوتى القرآن أوتى خيراً كثيراً : أوتى صحة فى جسمه وطهارة فى نفسه ، وكمالا فى عقله وسعة فى ماله ، وعزة فى تواضع ، وشدة فى رحمة ، ورسوخا فى العلم ، وصدقا فى القول فالقرآن سميره وجليسه وخليله وما أعظمه من أنيس وصديق .

ولذلك كان جزاء مدارسة القرآن جزاء أوفى ، وهدية عظمى لأولياء الله وضيوف مائدته . فهم أولا : تتنزل عليهم السكينة وما أعظمها من راحة تشيع فى النفس وتأخذ بحنايا الفؤاد .

وثانيا : تغشاهم الرحمة . فرحمة الله قريب من المحسنين . فعن سلمان أنه كان فى عصابة يذكرون الله تعالى ، فمر بهم رسول الله ﷺ فقال : ما كنتم تقولون فإنى رأيت الرحمة تنزل عليكم فأردت أن أشارككم فيها » . وخرج البزار من حديث أنس عن النبى ﷺ قال : « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا إليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تعالى فيقولون : ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألون لآخرتهم ودنياهم ، فيقول الله تعالى : غشوهم برحمتى فيقولون : ربنا إن فيهم فلانا الخطاء إنما اعتنقهم اعتناقا ، فيقول تعالى : غشوهم برحمتى » .

وثالثاً : تحف بهم الملائكة . فعنه عليه الصلاة والسلام إن لله ملائكة

فى الهواء يسيحون بين السماء والأرض يلتمسون الذكر ، فإذ سمعوا قوما يذكرون الله تعالى قالوا : رويدا زادكم الله ، فينشرون أجنحتهم حولهم حتى يصعد كل منهم إلى العرش » . ورابعا : يذكرهم الله فيمن عنده وذلك بالثناء عليهم فى الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاته بهم وتنويهه بذكرهم .

ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يقول الله أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم » .

وهذه الأفضال الأربعة يحظى بها كل من كان فى ذكر الله ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى ﷺ قال : « إن لأهل ذكر الله تعالى أربعا : تنزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، وتحف بهم الملائكة ، ويذكرهم الرب فيمن عنده » وقد قال الله تعالى : « فاذكرونى أذكركم » .

ويختتم الحديث هذا الهدى النبوى الكريم بالدعوة إلى العمل والاعتماد عليه دون غيره فى الوصول إلى رضاء الله ، وثوابه . « فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . فالعمل هو الذى يبلغ بالعبد درجات الحياة الآخرة ، ومن ابطأ به عمله ان يبلغ المنازل العالية عند الله لم يستطع نسبه ان يبلغه ذلك . فإن الله تعالى رتب الجزاء على العمل . « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » . وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه : (وأنذر عشيرتك الأقربين) : يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، ياصفية عمة النبى لا أغنى عنك من الله شيئا ، يافاطمة بنت محمد سلينى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا » .

فالإسلام دين الحياة ، ولا حياة بلا عمل . فبالعمل يعمر الكون ، ويحقق الإنسان آماله وطموحاته ، وينهض بالمجتمعات ويجنى خير هذه الدنيا . وقد أمرنا الله بأن نسعى فى الأرض ونأكل من خيراتها : (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) (فما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده) فعن المقدام رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) .
فالذى يشتغل بيده ، ويكدح ببدنه ، ويبذل عرقه فى سبيل رزقه خير ممن يأكل من تركة موروثة أو هبة مبذولة ، أو صدقة تمنح له عفوا أو استجداء ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، ولنا الأسوة والقدوة الحسنة فى نبى الله داود الذى جعله الله خليفة فى الأرض (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) فلم يستنكف عن العمل بيده ، ولم يعتمد على ملكه وسيطرته ، بل يعمل ويصنع الدروع ، ويبذل الجهد فى سبيل إتقان عمله .
ورسولنا ﷺ يوجهنا إلى العمل فى قوله : (لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيأتى بحزمة حطب ، فيبيعها فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه . (بل إن العمل عبادة . قال تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) ويقول الرسول ﷺ : (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله) .

فالحياة لا مكان فيها الأدعياء الذين يتطاولون على الناس بأحسابهم وأنسابهم أو الكسالى المتخاذلين الذين لا تغبر أيديهم من أعمالهم ، والمؤمنون مطالبون بأن يأخذوا كل طريق مشروع إلى العمل فى البر أو فى البحر حتى يحققوا عمارة هذا الكون على أساس مما أحل الله والالتزام بأداء الفرائض والواجبات الدينية فيجمع الإنسان بذلك بين خيرى الدنيا والآخرة . قال تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك

من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إنه لا يحب المفسدين) .

ما يدعو إليه الحديث :

١ — التعاون الكامل بين المسلمين على ما فيه خيرهم وسعادتهم وذلك بالسعى إلى التصدى للمشكلات التى تعترض حياة الآخرين كتفريج الكروب ، وسداد الديون ، وستر العورات والتجاوز عن العيوب والسقطات .

٢ — التشهير بالإنسان المسلم الذى قد يقع فى الخطأ ذنب عظيم ، لأن فيه إفشاء للسر ، وتحريضا له على التمادى فى الخطأ وتقطيعاً لروابط الأخوة الإسلامية .

٣ — المؤمن مطالب ببذل جهوده فى سبيل الجماعة التى ينتمى إليها وأن يقدم إليها كل ما يستطيعه من أجل إسعادها وأداء الخير إليها .

٤ — طلب العلم طريق إلى الجنة ، فمن أخلص فيه فقد فاز برضا الله وثوابه .

٥ — للاجتماع على دراسة القرآن وتلاوته آثاره العظيمة التى تعود على المتحلقين حول مائدته وثوابه الأوفى من الله .

٦ — العمل أساس عمارة هذا الكون ، وهو الوسيلة الوحيدة إلى التقرب إلى الله تعالى . أما المباهاة بالأنساب فإنها دعوى الجاهلية وأوهام زائفة لا جدوى من الاعتماد عليها .

الحديث العاشر

لا تغضب :

« عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني قال : لا تغضب ، فردد مرارا قال : لا تغضب . رواه البخاري في كتاب الأدب .

وخرج الترمذي هذا الحديث أيضاً ، ولفظه : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله علمني شيئاً ولا تكثر علي لعلي أعيه ، قال لا تغضب فردد ذلك مرارا كل ذلك يقول : لا تغضب » .

وفي رواية أخرى لغير الترمذي قال : « قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ولا تكثر علي ، قال : « لا تغضب » :

راوي الحديث : ـ

هو أبو هريرة وقد سبق التعريف به فيما سبق[1] .

التعبير البلاغي : ـ

الأوامر في الروايات المتعددة للحديث : « أوصني » و « علمني » و« دلني » لايقصد بها الإلزام كما وضع له فعل الأمر لأن ذلك لا يجوز من الأدنى للأعلى وإنما المراد بها الطلب والرجاء .

لا تغضب : نهي أريد به النصح والتوجيه .

---

(١) راجع ص ٥٥ من هذا الكتاب .

مع أسلوب الحديث : ـ

روايات هذا الحديث توضح أن السائل رجل غير معروف ، أو على الأقل غير معروف عنه السرعة فى الغضب . وتذكر بعض الروايات أن السائل هو أبو الدرداء فقد خرج الطبرانى من حديث أبى الدرداء قال :

« قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة ، قال : لا تغضب ولك الجنـــة » .

وأبو الدرداء لم يعرف عنه سرعة الغضب بل إنه من الزاهدين الأتقياء ومعنى هذا أن الرجل ـ المسلم الحريص على الالتزام بمـا ينفعه فى دينه : انتهز فرصة لقائه بالرسول ﷺ لـكى يعرف منه امراً ينتفع به فى دينه ويعمل على الالتزام به وكانت النصيحة وصية وجيزة جامعة لخصال الخير « لا تغضب » ثم ردد الرجل هذا الطلب عليه ﷺ مرارا ، والنبى يردد عليه هذا الجواب .

ولمـا كان الرجل يعـلم أن قول معلمه لا يـكون إلا نافعا له فى دنياه وآخرته لم يذكر وصفا للقول الذى يريده ، وذلك لما فيه من إشعار بسوء الظن ، إذ لو قال « قولا مفيداً أو نافعاً » مثلا لفتح للظن مجالا بأن من قوله ﷺ ما ليس مفيداً ولا نافعا ، وحاشا لقوله ﷺ أن يـكون كذلك ، بل إن بعض الروايات التى ذكرت : قل لى قولا ولا تـكثر على ، لعلى أعيه تلمح إلى أن الرجل يتهم نفسه ويطلب الإيجاز حتى يعى ما يقول الرسول ﷺ ولا يقصر فهمه عن إدراك ما ينصحه به المصطفى ﷺ .

ولعل تكرار الرجل سؤاله إشارة إلى أن الرجل وإن طلب الإيجاز إلا أنه فوجيء بشدة الإيجاز الذى لم يتوقعه ، وكان يريد مزيداً أكثر من الوصايا ، لكن المعلم الأعظم كان يكرر الإجابة نفسها ولا يزيد عليها لبيان أهمية البعد عن الغضب وأن فيه صلاح الفرد وأنه طريق الإنسان إلى ربه وأن التحرز من الغضب جماع الخير كله. وقوله ﷺ لمن استوصاه : « لا تغضب » يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون مراده الأمر بالأسباب التى توجب حسن الخلق من الكرم والسخاء والحلم والحياء والتواضع والاحتمال وكف الأذى، والصفح والعفو وكظم الغيظ ونحو ذلك من الأخلاق الحميدة ، فان النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت عادة لها أوجب لها ذلك دفع الغضب عنه حصول أسبابه .

والثانى أن يكون المراد : لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به ، فإن الغضب إذا تملك من ابن آدم كان خاضعا له ، مستسلما لدوافعه .

حول معنى الحديث : ـ

الغضب صفة مذمومة ، وهو جماع الشر . قال جعفر بن محمد : « الغضب مفتاح كل شر » وقيل لابن المبارك ، اجمع لنا حسن الخلق فى كلمة قال : ترك الغضب ، لأن الغضب إذا ملك شيئاً من الإنسان كان الآمر الناهى له ، فعن النبى ﷺ قال : « الغضب جمرة فى قلب الإنسان توقد ألا ترى إلى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ، فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئا فليجلس ولا يعدو به الغضب » ومن آثار الغضب السيئة أنه يحدث تغيراً فى لون الوجه ، ورعدة فى الأطراف واضطرابا فى الحركة والكلام ، ويدفع باللسان إلى الفحش فى الكلام الذى يستحى منه قائله عند ذهاب غضبه. كما يكون له آثاره السيئة على أعضاء الجسم ، فهو يحدث اضطرابا فى ضغط الدم وضربات القلب ، فيختل التنفس وتتسع حدقتا العين وينقبض الجهاز الهضمى وتتوتر العضلات وترتعش.

بل إن ذلك التغير فى أجهزة الجسم وأعضائه قد يدفع بالشخص الغاضب إلى كثير من الأفعال المحرمة كالقذف والسب والفحش وربما تطور إلى درجة الكفر ، أو الوقوع فى الأيمان التى لا يجوز التزامها شرعا ، وكطلاق الزوجة الذى يعقب الندم ، أو إلى الضرب والتمزيق لكل ما أمامه بل إلى القتل بحسب درجة الغضب عند الإنسان ، فإن لم يتمكن من خصمه رجع على نفسه فمزق ثيابه ، ولطم خده ، واهتاج هياج المجنون ، وربما سقط صريعا أو اعترته نوبة من الغشيان أو الصراع والعياذ بالله.

ولهذه الآثار السيئة عمد الرسول ﷺ إلى سائله ، وأوصاه بما يزيل عنه هذه السيئات ويبعده من هذه المهلكات . نهاه عن الغضب وكرر ذلك مراراً ، وفى كل مرة لم ينصح سائله إلا بهذه النصيحة الغالية .

وفى هدى الإسلام دعوة إلى البعد عن هذه الآفة الضارة والإلحاح على محاربتها والبعد عنها ووضع العلاج الذى يحول بين الإنسان وبينها أو يخفف من آثارها .

فيمدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله : (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) ويقول : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

وعن الرسول ﷺ أنه قال : « إذا غضب أحدكم فليسكت ، قالها ثلاثا » . وهذا دواء عظيم للغضب لأن الغضبان يصدر عنه فى حال غضبه من القول ما يندم عليه بعد زوال غضبه ، فإذا سكن زال هذا الشر عنه ولم يقع فيه

وقال رسول الله ﷺ : « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » بل إن الرجل تقاس قوته وشدته بامتلاك نفسه عند الغضب .

فى صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : « ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قلنا : الذى لا تصرعه الرجال ، قال : ليس ذلك ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب » .

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة من حديث معاذ بن أنس الجهنى عن النبى ﷺ قال : من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء

وقال عليه الصلاة والسلام . « ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة الغيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى » .

وإذا كان نصح النبى ﷺ لأبناء الأمة بالابتعاد عن الغضب الذى يفقد الإنسان صوابه ويوقعه فى الأخطاء والمحرمات فانه لا يمكن التخلص من الغضب نهائياً لأنه استعداد فطرى فى الإنسان ، ولكنها دعوة إلى مواجهة هذه الآفة وحفز النفس على التغلب عليها .

ولهذا نجد الرسول ﷺ يقول عن نفسه : « إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر » .

ويخبرنا القرآن الكريم أن موسى عليه السلام قد غضب ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه : (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح) .

أما الغضب لما يحدث من سيئات وما يقع من اعتداءات على الحرمات والأعراض ، والغضب لدفع الظلم فهذا أمر مطلوب من الإنسان المسلم فى صحوة من العقل واتزان الفكر وهدوء النفس ومن لم يجد فى نفسه إزاء هذه المنكرات حمية فهو إنسان خائر القوى ضعيف الإيمان .

فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ثلاث من أخلاق الإيمان : من إذا غضب لم يدخله فى باطل ، ومن إذا رضى لم يخرجه رضاه من حق ، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له » .

ما يؤخذ من الحديث :

١ — حرص الإنسان المسلم على السؤال الدائم عما ينفعه فى دينه ودنياه والتزود من أهل العلم والمعرفة بما يصلح أمر دينه ، ويأخذ بيده إلى الطريق المستقيم .

٢ — إن الغضب وإن كان مركوزاً فى النفس البشرية فإنه صفة ذميمة يجب محاربتها والبعد عن دوافعها وأسبابها .

٣ — قوة إيمان الإنسان تقاس بقدرته على مقاومة هذه الخصلة الذميمة ومدى تغلبه على آثارها والبعد عنها .

الحديث الحادى عشر

(فى مداراة الأشرار)

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه - أو تركه - الناس اتقاء فحشه » .

رواه مسلم والبخارى[1]

راوى الحديث :

روت هذا الحديث السيدة عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، وزوج الرسول ﷺ ، وهى أم المؤمنين تزوجها الرسول ﷺ قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث سنوات وهى بكر وكان عمرها ست سنين ، وقيل سبع ، وبنى بها وهى بنت تسع سنين بالمدينة إثر انصرافه من بدر .

وكانت أول امرأة يعقد عليها الرسول ﷺ بعد السيدة خديجة رضى الله تعالى عنها ، وكانت أحب نسائه ﷺ إلى نفسه .

فعن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ استعمله على ذات السلاسل ، قال : فأتيته فقلت يا رسول الله : أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها . ولذلك كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة .

---

(١) راجع صحيح مسلم ١٦ / ١٤٤ دار احياء التراث العربى ببيروت ، وعمدة القارى ١٢ / ١٧١ دار الفكر .

قالت عائشة : « فاجتمع صواحبي - أي زوجات الرسول - إلى أم سلمة فقالوا : يا أم سلمة ، إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد من الخير كما تريد عائشة ، فمرى رسول الله أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان ، قالت فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ ، قالت : فأعرض عنى ، فلما عاد إلىّ ذكرت له ذلك ، فأعرض عنى ، فلما كان فى الثالثة ذكرت له ذلك ، فقال : يا أم سلمة : لا تؤذينى فى عائشة ، فإنه - والله - ما نزل علىّ الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » وكان مسروق إذا روى عنها يقول : حدثتنى الصديقة بنت الصديق ، البريئة المبرأة ، وكانت ذات علم وفقه عظيمين ، ولذلك كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض . يقول عطاء بن أبى رباح : كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأياً فى العامة ، نزل الوحى على الرسول ﷺ وهو فى بيتها عدة مرات ، وقال فيها ﷺ : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » .

وقال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلا وعلو مجد ، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة .

وقد روت عن الرسول ﷺ أكثر من ألفى حديث ، وروى عنها عمر ابن الخطاب وكثير من الصحابة ، ومن التابعين مالا يحصى .

وقد توفى عنها الرسول ﷺ وعمرها ثمانى عشرة سنة ولم تنجب ولداً ، وإنما كنيت بأم عبد الله باسم عبد الله بن الزبير ، وهو ابن أختها السيدة أسماء ذات النطاقين ، كناها الرسول بذلك استجابة لطلبها تطييباً لخاطرها

وقد توفيت رضى الله عنها سنة سبع وخمسين ، وقيل ثمان وخمسين ودفنت بالبقيع ، وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنهما (١) .

---

(١) راجع أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٧/١٨٨ .

المفردات :

ودعه : تركه . وقد ذكر بعض النحاة أن العرب قد أماتوا ، مصدر الفعلين « يدع » و « يذر » وماضيهما ، وقد جاء الماضي في هذا الحديث عن الرسول ﷺ ، ولكن شكاً لا جزماً . وجاء المصدر في قوله ﷺ : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات » والصحيح أن ذلك جائز ، ولكنه استعمال نادر .

اتقاء فحشه : أي توقيا وتجنبا لأذاه وإساءته فالفحش والفحشاء والفاحشة : كل قبيح من القول والفعل وجمعها الفواحش ، وأفحش عليه في المنطق أي قال الفحش ، وكل أمر لا يكون موافقاً للحق والقدر فهو فاحشة ، وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا ، ويسمى الزنا فاحشة .

قال تعالى : (ولا تخرجوهن من بيوتهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) وكل خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال ، لكن استعماله في القول أعم .

ومداراة الآخرين : لين الكلمة لهم ، وترك الإغلاظ لهم في القول وهي من أخلاق المؤمنين ، أما المداهنة فهي محرمة ، إذ المداهنة أن تلقى الفاسق المعلن بفسقه فتؤالفه ولا تنكر عليه ولو بالقلب . أما المداراة فهي الرفق بالجاهل الذي يستتر بالمعاصي ، واللطف به حتى ترده عما هو عليه .

اللغويات : -

شر : اسم إن منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره

منزلة : تمييز لأفعل التفضيل « شر » منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره

من : اسم موصول مبنى على السكون فى محل رفع خبر « إن » .

ودعه الناس : جملة فعلية من فعل ومفعول به وفاعل ، والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول « من » .

اتقاء : مفعول لأجله . أى من أجل اتقاء فحشه . وهو منصوب بالفتحة الظاهرة ومضاف ، وفحش مضاف إليه ، وفحش مضاف ، والضمير مضاف إليه فى محل جر .

التعبير البلاغى :

هذا الحديث من الهدى النبوى الكريم ، قول موجز يحرص على إسداء النصح لعامة المسلمين حتى يهذبوا من سلوكهم ويبتعدوا عما يبغضهم وينفر الآخرين من لقائهم أو مجالستهم .

وقد اعتمد الحديث هنا على الأسلوب الخبرى المصدر بالتوكيد « إن » ليزيل أى شك لدى السامعين فى تدنى منزلة أصحاب هذا الخلق وشناعة مسلكهم ، بل إنه استعمل أفعل التفضيل « شر الناس » للتشهير بذوى المظاهر الخادعة ، والذين يظهرون غير ما يبطنون ، ويضمرون بين جوانحهم الخبث والحقد والكراهية للآخرين . ولهذا استعمل كلمة « ودعه الناس » وكأنه ذا مرض معد يصيب من يقترب منه أو يتعامل معه حتى إنهم يفرون منه ، ويبادرون بالبعد عنه ويدعونه تخلصاً مما قد ينالهم منه إن اقتربوا منه أو التقوا به ، فكان التعبير عن الرغبة فى لقائه وما يعترى الإنسان من ضيق عند رؤيته بقوله ﷺ ودعه الناس أدق فى التعبير من : تركوه ، أو ابتعدوا عنه أو ما شابه ذلك

وبهذه الكلمات التصويرية يرسم الحديث أمام السامعين صورة شائنة

لصاحب هذا السلوك وهى صورة الإنسان المنبوذ الذى يعيش منعزلا تحتويه الوحدة وتلفه الحسرة ويجتر آلامه ويتجرع غصص هذه الصفة الشائهة .

مع أسلوب الحديث : —

هذا الحديث جزء من حديث طويل يحكى قصة أحد الزائرين للرسول ﷺ وموقف الرسول منه ، فقد روى البخارى عن عائشة « أن رجلا استأذن على النبى ﷺ ، فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة . فلما جلس تطلق النبى ﷺ فى وجهه وانبسط إليه ، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة : يارسول الله ؟ حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا ثم تطلقت فى وجهه وانبسطت إليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة متى عهدتنى فحاشاً ؟ . إن شر الناس عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره [1] .

وقد قيل إن الرجل المستأذن على الرسول ﷺ هو مخرمة بن نوفل ، وقيل عيينة بن حصن الفزارى وكان يسمى بالأحمق المطاع لأنه كان رئيس قومه . وكان الرسول ﷺ يتألفه ليسلم قومه ، فرح ﷺ بإقباله عليه قبل أن يسلم قومه وترك حديثه مع ابن أم مكتوم فأنزل الله عز وجل :

(عبس وتولى أن جاءه الأعمى . . .)

وبئس الرجل أخو العشيرة : المراد بالعشيرة القبيلة أو الجماعة أى بئس هذا الرجل منها .

وهذا الحديث من أسرار النبوة ، لأن هذا الرجل الذى أوضح الرسول نفاقه المستتر ، قد أسلم فى عهد الرسول ﷺ ثم ارتد بعد موته ﷺ وحارب

---

(١) راجع عمدة القارى ١١٧/٢٢ وراجع صحيح مسلم ١٤٤/١٦ .

المسلمين وجيء به أسيراً إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، ثم رجع إلى الإسلام وحضر بعض الفتوحات في عهد عمر ، وهو الذي استأذن له ابن أخيه الحر بن قيس في الدخول على عمر ، فلما دخل قال : يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم بأن يقع به ـ يشتد في ضربه ـ فقال الحر : يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه ﷺ : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وإن هذا من الجاهلين فعفا عمر وصفح [١] .

وهذا الحديث في ظاهره يحتاج إلى توضيح لأن فيه إشكالا وتناقضاً ظاهرياً إذ كيف يذم الرسول ﷺ شخصاً استأذن في لقائه ، ويقول فيه : بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة ، ثم يهش في وجهه وينبسط له حينما جلس إليه ؟ وهل هذا إلا لتظاهر بغير ما يضمر الإنسان ، وكيف يصدر هذا من رسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم الذي سجل له القرآن الكريم بأنه (على خلق عظيم) ؟ .

وأجيب عن هذا بأن الرسول ما قال وما فعل ما فعل إلا من أجل توجيه الأمة ونصيحة أفرادها وتحذيرهم بأن لا يغتروا بذوي المظاهر الخادعة البراقة أصحاب الطوايا والنفوس الخبيثة ، فيقعوا في شراكهم ، ويصيبهم شرهم وأذاهم . كما استدل بهذا الذم على جواز غيبة من أعلن الفسق والفحش ، والظلمة ممن جاروا في أقوالهم وأفعالهم ، أو دعوا إلى بدعة جهاراً . فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً .

« ويروي عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أن يهوداً

---

(٢) راجع ذلك في صحيح البخاري « كتاب الاعتصام » .

أتوا النبى ﷺ فقالوا السام عليكم ، فقالت عائشة عليكم واعنكم الله وغضب الله عليكم . قال مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش . قالت : أو لم تسمع ما قالوا؟ قال : أو لم تسمعى ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى منهم ولا يستجاب لهم فى .

- وأجيب عن التطلق فى وجهه والتبسط إليه بعد ذلك الذم ، بأنه من باب المداراة اتقاء شره ، وليس من قبيل المداهنة فى الدين التى هى من مساوىء الأخلاق .

قال القرطبى : والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أوالدين أو هما معاً ، وهى مباحة وربما استحبت أما المداهنة فهى ترك الدين لصلاح الدنيا ، والنبى ﷺ إنما بذل لهذا الرجل من دنياه حسن عشرته ، والرفق فى مكالمته ، ومع ذلك فلم يمدحه بقول ، ولم يناقض قوله فيه فعله ، فان قوله فيه حق ، وفعله معه حسن عشرة .

حول معنى الحديث : ـ

فى هذا الحديث الشريف يبين الرسول ﷺ أن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس ووادعوه وفارقوه وسالموه ، لا لأنه لا خير فيه ولا منفعة ترجى من ورائه ، بل اتقاء لشره ، وبعداً عن ضرره وبغيه ، فهم لا يأمنون على أنفسهم إذا كاشفوه بحاله ، أو وجهوه وأسدوا إليه النصح ، رغبة فى إصلاحه وتقويم سلوكه ، أو قابلوا سيئه بالسيئة ، لا يأمنون أن يرميهم بالمقذعات ويدبر لهم المكيدات التى تضرهم فى نفوسهم أو أعراضهم وأموالهم ، أو مناصبهم ومراكزهم ، فهو أفاق أثيم ، مجرم شرير ، لا يتحاشى منكراً ولا

يتورع عن مأثم ، ولا يبتعد عن إساءة فهو بؤرة فاسدة نتنة إن اقتربت منها هبت عليك رائحتها القذرة ، وزكمت الأنوف بنتنها وقذارتها فالسلامة منه فى مجانبته أوفى تركه ومسالمته . فهذا أسوأ الناس منزلة يوم القيامة فمصيره نار يصلى بها ، وجحيم يطعم زقومها ، فهو فى الدرك الأسفل من النار . فقد كان وباء على المجتمع ـ جماعاته وأفراده ـ فلم يسلم منه صديق أو عدو ، بل بلغ أذاه لكل من لقيه أو عاشره . وأساء إلى جميع من تعامل معه أو خالطه . فهو محروم من رحمة الله حيث يقول الرسول ﷺ : « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها » .

وهذا التدنى فى الخلق يأباه الإسلام ويرفضه بل يناهضه ويحذر من الوقوع فيه ، ومن اتصف به لا يحمل من الإسلام غير اسمه ، بل إنه لقب مكذوب ، ونعت مسروق ، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم وأسرارهم ، نخلقه الوفاء للآخرين والإخلاص لهم والعمل على راحتهم وسعادتهم ، وتقديم يد العون والمساعدة لهم ، بل والعمل على إدخال الطمأنينة والراحة إلى قلوبهم ونفوسهم ، ولن يتأتى ذلك إلا إذا كان سلوكه يدفع بالآخرين إلى الاطمئنان إليه ، والركون إلى جواره ، والحرص على ملازمته والتماس نصرته وتأييده لما يتمتع به من خلق كريم وصفات حميدة تحببه إلى الناس وتقربه إلى نفوسهم .

وكما هو معروف فإن الذنوب نوعان : نوع بين العبد وربه ، ونوع بين العبد وسائر الخلق . فأما ما يتعلق بالعبد خاصة فهو ترك الصلاة وسائر الواجبات الخاصة به ، وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة وقتل النفس وكل ما يختص بالغير .

وهذه الذنوب جميعها تنقسم إلى قسمين : صغائر وكبائر . وقد اختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر ، فقالت طائفة كل ذنب يعمله الإنسان عمداً فهو كبيرة

وقال بعضهم : كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر . والواقع أن الشرع لم يحص الكبائر ولم يحددها ربما قصد بذلك إبهامها ليكون العباد على حذر فلا يجرءون على ارتكاب الصغائر اعتماداً على أن الصلوات الخمس تكفرها وعلى أن اجتناب الكبائر يكفرها أيضاً ، وهذه حكمة بالغة أراد بها الشرع نجاة العباد .

لكن ذلك فيما هو حق لله تعالى ، أما حق العباد كالغيبة ، والنميمة والغضب والجهل على الآخرين ، فلا يمحوها إلا الاستحلال من العباد ، ولابد أن يعين له جهة الظلامة ، كأن يقول له قلت عليك كذا وكذا ، أو فعلت فى حقك كيت وكيت

وقد استبان لنا من هذا الإيضاح أمور : أولها : أن كل ذنب يعمله الإنسان عن عمد وإن كان صغيراً ـ قد يحسب عليه كبيرة خاصة إذا استمر عليه وأصبح طبعاً له .

ثانيها : أن كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر . ولا شك أن وعيد الرسول ﷺ فى هذا الحديث لمن تركه الناس اتقاء فحشه بأنه شر الناس منزلة يوم القيامة إنما يعنى بيان مكانه فى النار والعذاب المقيم فيه .

ثالثها : أن حقوق العباد لا تسقط إلا بطلب العفو عنها من أصحابها وممن وقع عليهم البغى والعدوان . ولا شك أن هذا أمر يصعب على الإنسان تداركه أو تحقيقه ، فقد يكون فى مصارحة الإنسان بما اقترف فى حقه نشوب المعارك ، وتقطيع الأرحام ، وإضرام نار العداوة إذ النفس البشرية ـ بطبيعتها ـ ثائرة مستوفزة وخاصة فى حالة الإساءة إليها أو المجاهرة بالتعريض بها أو النيل منها .

ولهذا فإن البعد عن الإساءة إلى الآخرين ، وعدم الاعتداء على حقوقهم وضرورة الحفاظ على أعراضهم وأموالهم هو الطريق القويم الذى يبقى على كرامة الإنسان ، ويصون عزته ، ويبعده عن غضب الله والناس ، ويجعله فى عيشة راضية ، آمنا فى حياته ، وبعد مماته .

ما يؤخذ من الحديث : -

١ - جواز الغيبة فى حق الفاسق المعلن فسوقه ، ولمن يحتاج الناس إلى التحذير منه .

٢ - وجوب مداراة الفاسقين الجهال الذين عرفوا بالتطاول والبطش واستعمال سطوتهم فى الإساءة إلى الآخرين ، وذلك بالتلطف فى محادثتهم ، والاحتيال على تهدئتهم وعدم إثارتهم بحسن المعاملة .

٣ - إن كل من جانب الاعتدال فى خلقه وسلوكه ، واعتدى على الآخرين وروع الآمنين ، وبطش بالضعفاء ، واغتر بقوته أو جاهه ، فهو منبوذ من الناس ، محروم من رحمة الله ، مصيره جهنم وبئس المصير .

الحديث الثانى عشر

(ابتعد عما يريبك)

عن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب سبط رسول الله ﷺ وريحانته - رضى الله - عنهما قال حفظت من رسول الله ﷺ : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »

رواه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح

راوى الحديث :

هذا الحديث رواه الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - ابن عبد المطلب بن هاشم ، وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين ، وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبى ﷺ . سماه النبى ﷺ الحسن .

قال أبو أحمد العسكرى : سماه النبى ﷺ الحسن ، وكناه أبا محمد ولم يكن يعرف هذا الاسم فى الجاهلية .

ولد فى النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، تربى فى بيت النبوة ، وأحبه الرسول ﷺ ، وكان يدعوه بابنه دائماً ، وشب على الخلق الكريم وكان تقيا زاهداً .

فقد روى عنه أنه حج عدة حجات ماشياً ، وكان يقول : إنى لأستحى

من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، وخرج من ماله كله لله مرتين ، كما دعاه ورعه وفضله إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله تعالى .

كان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وولى الخلافة بعد قتل أبيه رضى الله عنهما ، وكان قتل على لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين ، وبايعه أكثر من أربعين ألفاً ، وبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءه من خراسان والحجاز واليمن وغير ذلك

وحجب عنه معاوية مبايعة أهل الشام وبعد أن تنازعا هو ومعاوية علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يقتل أكثر الأخرى فأرسل إلى معاوية يبذل تسليم الأمر إليه ، على أن تكون له الخلافة بعده ، وفرح معاوية بالصلح ، وسمى هذا العام الحادى والأربعون من الهجرة - عام الجماعة - لاجتماع كلمة المسلمين فيه .

وقد توفى مسموماً ، حيث سقى سماً ، فلما اشتد عليه المرض قال لأخيه الحسين : لقد سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذا . إنى لأضع كبدى . قال الحسين : من سقاك يا أخى ؟ . قال : ما سؤالك عن هذا ؟ أتريد أن تقاتلهم ؟ أكلهم إلى الله عز وجل ، وتوفى رضى الله عنه بالمدينة سنة تسع وأربعين ودفن بالبقيع بعد أن منع بنو أمية دفنه بجوار جده المصطفى ﷺ .

المفردات :

سبط رسول الله : ابن إبنته السيدة فاطمة الزهراء ، والسبط (بكسر فسكون) ولد الولد ، وفعله سبط وهو بمعنى طال واسترسل وامتد واتسع وكثر . فالسبط امتداد فى الذرية ، ويتعين أن يكون فى البنين من ولد الولد بخلاف الحفيد . فإنه يطلق على البنين والبنات من ولد الولد .

دع : فعل أمر بمعنى اترك .

يريبك : يروى بفتح الياء وضمها ، والفتح أفصح وأشهر ، ويجوز الضم .

يقال : رابني الشيء وأرابني : ومعناه يجعلك في ريب وريبة أي في شك ، وظنة منه . أي اترك ما شككت فيه واعدل إلى ما لا تشك فيه .

اللغويات :

دع : فعل أمر مبني على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) ومراد به كل مسلم .

ما يريبك : ما اسم موصول بمعنى الذي في محل نصب مفعول به للفعل (دع) .

يريبك : يريب فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره ، والكاف ضمير في محل نصب مفعول به ، وفاعل الفعل (يريب) ضمير مستتر يعود على (ما) الاسم الموصول ويربطه بالصلة .

التعبير البلاغي :

دع : أمر مراد به الإرشاد والنصح والتوجيه ويمكن أن يراد به الإلزام لأن هذا تشريع للمسلمين وتنظيم للحياة الإسلامية الحقة .

ما يريبك : في اختيار (ما) الموصولة للتعبير بها عما يريد الإبتعاد عنه إفادة للتعميم ووقوع الفعل المطلوب على كل شيء تدل عليه الصلة ، ومعناه

أن كل شيء يريب وفيه شك مطلوب تركه وتجاوزه ، وكل شيء لا يريب ولا شك فى كونه حلالا مطلوب عمله والسعى إليه .

مع أسلوب الحديث :

فى المطابقة بين ما يريب وما لا يريب ، إشعار بأن المرء كثيراً ما يعيش فى لحظات الاختيار وهو فى مفترق المسالك يتملكه كثير من التردد والحيرة وعدم القدرة على اتخاذ الرأى السليم .

والرسول الكريم ، يرشد الإنسان أن يجتنب طريق الشر والغواية والشبه والظنون ، ويسلك طريق الرشاد والخير والسلامة واليقين .

حول معنى الحديث :

هذا الحديث مع إيجازه يقرر مبدءاً إسلامياً جليلا يجمع خلاصة أوامر الشرع ونواهيه فى أقوال الإنسان وأفعاله وسلوكه ، ولو إلتزم بذلك لنال حسن الدنيا والآخرة .

ولعل فيما يرويه الحسن بن على من تكملة لهذا الحديث يوضح أهمية هذا التوجيه النبوى العظيم فى حياة الإنسان المسلم .

فقد أخبر أبو الحوراء قال : قلت للحسن بن على : ما تذكر من رسول الله ﷺ قال : أذكر من رسول الله أنى أخذت تمرة من تمر الصدقة ، فتركتها فى فمى فنزعها بلعابها ، وجعلها فى تمر الصدقة . فقيل : يا رسول الله ، ما كان عليك من هذه التمرة . قال : إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وكان يقول : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة ، وان الكذب ريبة » .

ويتفق هذا الحديث مع الحديث الذى يدعو إلى ترك المشتبهات الذى يرويه البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

وهذا الحديث كما يذكر أبو داود السجستانى أحد أربعة أحاديث تمثل أصول الإسلام وأركانه .

وحديث الرسول ﷺ : « دع ما يريبك ..... » يدعو إلى التوقى من مزالق الريب والظنون والشبهات وهى الأمور التى تحتل مكانة وسطى بين الحلال البين والحرام البين والتى تشتبه على كثير من الناس ، مثل بعض ما اختلف فى حله أو تحريمه .

فالله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه الكتاب وبين فيه للأمة ما تحتاج إليه من حلال وحرام ، ووضح الرسول ﷺ ذلك لأمته حتى قال عليه الصلاة والسلام : « تركتكم على بيضاء نقية ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » .

فما ترك الله ورسوله حلالا إلا مبينا ، وما ترك حراماً إلا موضحاً لكن بعضه كان أظهر بيانا من بعض ، فيلتبس على البعض منا أمره هل هو حلال أم حرام كالأشياء التى تعارضت فيها الأدلة كلحوم كل ذى ناب من السباع أو مخلب من الطيور .

فإن ظاهر الحصر فى قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير فإنه رجس ، أو فسقا أهل لغير الله به) . يدل على حل هذه السباع والطيور ، وجاء فى الحديث النهى عنها ، ومن أجل ذلك اختلف العلماء فى حلها .

ومنها ما ليس فيه نص صريح ، وإنما يؤخذ حكمها من عموم أو مفهوم أو قياس ، فتختلف أفهام العلماء فى هذا كثيراً ، ومنها ما يكون فيه أمر أو نهى فيختلف العلماء فى حمل الأمر على الوجوب أو الندب ، وفى حمل النهى على التحريم أو التنزيه .

ومن المشتبهات مال الإنسان الذى لا يتحرج فى كسبه عن الحرام ، فترك معاملته والأكل من ماله من ترك ما يريب إلى ما لا يريب .

وكذلك من الشبهات المال الذى يأتى للإنسان عن طريق حكم قضائى أو عرفى تعويضاً عن شىء ولم تكن نفس المؤدى لهذا المال راضية عن هذا المال وقدمه عن غير طيب نفس .

ففى هذه الحالات وأمثالها مما فيها شك يجب أن نلتزم بما وجهنا إليه الرسول ﷺ بقوله : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) ، وقوله : (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه) . أى طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص .

وفى هذا دليل على أن من ارتكب الشبهات فقد عرض نفسه للقدح والطعن فيه ، كما قال بعض السلف : « من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن » .

ولهذا ورد (كل ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة) أما من أتى شيئاً مما يظنه الناس شبهة لعلمه بأنه حلال فى نفس الأمر فلا حرج عليه من الله فى ذلك ، لكن إذا خشى من طعن الناس عليه بذلك كان تركها حينئذ استبراء لعرضه فيكون حسنا ، حتى الأمور التى تعرض الإنسان لشك الناس فيه عليه أن يجتنبها .

ولذا يروى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه فى الطريق فمر به رجل فدعاه الرسول ﷺ وقال له يا فلان : « هذه زوجتى صفية » . فقال الرجل يا رسول الله من كنت أظن فيه فإنى لم أكن أظن فيك . فقال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق » .

وخرج أنس إلى الجمعة فرأى الناس قد صلوا ورجعوا فاستحيا ودخل موضعا لا يراه الناس فيه وقال « من لا يستحى من الناس لا يستحى من الله » وفى رواية « من يخالط الريبة يوشك أن يجسر » أى يقرب أن يقدم على الحرام المحض ، والجسور المقدام الذى لا يهاب شيئاً ولا يراقب أحداً .

فهذا الحديث يدعونا إلى استقامة الإرادة والضمير . والبعد عن الدنايا والارتفاع عن الصغائر ، والوقوف أمام شهواتنا ورغبات النفس الأمارة بالسوء وأن لا ننساق إلى وسوسة الشيطان ، وأن نترك ما نرتاب فيه إلى ما لا ريبة فيه ولا شبهة وأن يجعل الإنسان ضميره دائما فى حال صحوة ومراقبة مستمرة .

يقول الرسول ﷺ (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) ، وبهذه المراقبة المستمرة والمحاسبة الدقيقة من الإنسان لنفسه تعمر حياتنا بالخير ، وتمتلىء دنيانا

بالسعادة والقناعة والرضا ، وتتجه النفس إلى الله صافية نقية تقية فتتحقق له سعادة الدارين وينال خيرى الدنيا والآخرة .

ما يؤخذ من الحديث :

١ - يحذرنا الحديث من الشبهات والبعد عما فيه ريبة أو شك .

٢ - يدعونا إلى الاحتراس وبعد النظرة وإلى تخليص معتقد الإنسان مما قد يشوبه أو يعرض العرض للمثالب .

٣ - يقرر الحديث مبدءاً أساسيا من مبادىء التربية الإسلامية وهو ضرورة تحرى الإنسان المسلم السلامة ، وتنزيه سلوكه وأقواله وأفعاله عن الشك أو الاتهام ، ومقاومة أهواء النفس ووسوسة الشيطان .

الحديث الثالث عشر

(الحث على الزواج) :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فقال لنا : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء» .

(رواه البخاري ومسلم)

راوي الحديث : -

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن الهذلي من المسلمين الأولين . فقد أسلم حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب ، وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان . روى الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال عبد الله : لقد رأيتني سادس ستة ، ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا . وهو أول من جهر بالقرآن بمكة .

هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة ، وصلى القبلتين ، وشهد بدراً وأحداً ، والخندق وبيعة الرضوان ، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ ، وهو الذي أجهز على أبي جهل ، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة . وقد روى عن النبي ﷺ وروى عنه الصحابة والتابعون .

وسيره عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة ، وكتب إلى أهل الكوفة : « إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً

وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ ، من أهل بدر ، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى » .

وكان رجلا زاهدا تقيا ورعا . قال أبو ظبية : مرض عبد الله فعاده عثمان ابن عفان فقال ما تشتكى ؟ قال : ذنوبى ، قال : فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضنى . قال : ألا آمر لك بعطاء قال : لا حاجة لى فيه . قال : يكون لبناتك . قال : أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » .

وقد توفى ابن مسعود فى المدينة سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع ، وكان عمره بضعاً وستين سنة ولما نعى إلى أبى الدرداء قال : « ما ترك بعده مثله » . رضى الله تعالى عنه .

المفردات : -

المعشر : جماعة يشملهم وصف واحد .

الشباب : جمع شاب (لم تجمع فاعل على فعال غيره) وهو اسم لمن بلغ ولم يجاوز الثلاثين ، وقيل الأربعين ، ثم يسمى كهلا إلى الأربعين ثم شيخا .

الباءة والباء ، فى اللغة الجماع ، وأصله الموضع يتبوء الرجل ويأوى إليه .

وقيل معناه فى الحديث مؤن النكاح . فعلى المعنى الأول يكون تقدير الحديث من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه ، وهى مؤن النكاح ،

فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه ، فعليه بالصوم ، ليدفع شهوته ، ويقطع سورة منيه كما يقطعه الوجاء .

ويكون تقدير الحديث على المعنى الثانى : من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطعها فليصم ليدفع شهوته . والذى ألجأ إلى هذا المعنى هو أن العاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع شهوته ، والرسول يقول : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم » ، فوجب تأويل الباءة بمؤن النكاح ويجوز حمله على كلا المعنيين ويكون المعنى : من قدر على الجماع ومؤن النكاح فليتزوج كما يشهد لذلك رواية : « من استطاع منكم أن يتزوج فليتزوج »

ورواية : (من كان ذا طول - أى قدرة - فلينكح) .

أغض : أى أمنع للبصر من التطلع إلى الغير .

أحصن : من حصن بمعنى عف ، أى أن التزوج أشد إحصانا ومنعا من الوقوع فى الفاحشة ، وذلك هو العفة .

وجاء : أصله الغمز : ومنه وجأه فى عنقه إذا غمزه دافعا له ، ووجأه بالسيف إذا طعنه به ، وهو رض عروق البيضتين فى الذكر حتى تنتفخا من غير إخراج ، فيكون شبيها بالخصاء ، لأنه يكسر الشهوة . والمعنى أن الصوم الصائم قاطع للشهوة ، كما أن الوجاء الشبيه بالخصاء قاطع للشهوة .

اللغويات : -

فعليه بالصوم : لها إعرابان : الأول أن « عليه » اسم فعل أمر بمعنى الزم والباء فى قوله « بالصوم » حرف جر زائد ، والصوم مفعول به لاسم الفعل ، منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

والثانى : إن « عليه » جار ومجرور متعلق بخبر مقدم ، والباء حرف جر زائد والصوم مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة لاشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

والإعراب الأول أولى ، لما يوحى به معنى اسم الفعل من الإلزام الذى يدعو إليه الحديث بخلاف الإعراب الثانى الذى يختلف فيه التأويل فى متعلق الجار والمجرور بين الوجوب أو الإلزام أو غير ذلك .

فإنه : الضمير هنا يعود على التزوج المفهوم من قوله ﷺ فليتزوج .

التعبير البلاغى : -

فليتزوج : أمر أريد به النصح والتوجيه والدعوة إلى المسارعة إلى امتثال أمر الرسول ﷺ .

الباءة : فيها مجاز مرسل على « معنى مؤن النكاح » حيث ذكر اللفظ وأريد به لازمه من القدرة على تكاليف الزواج من مسكن ونفقة وغيرهما مما يقيم حياة أسرية هانئة .

فإنه له وجاء : تشبيه بليغ ، حيث شبه الصوم بالوجاء ولم يذكر الأداة ووجه الشبه . وتسمية الصوم وجاء من باب الاستعارة أيضاً لعلاقة المشابهة حيث كان الصوم مؤثراً فى ضعف الشهوة كالوجاء الذى يضعف الشهوة ويكسرها .

مع أسلوب الحديث : -

قال لنا : يدل على أن ابن مسعود كان فى سن الشباب ، وأن الحديث

الشريف قيل فى فترة مبكرة من الإسلام مع معرفة المسلمين بالصيام . إذ كان عمر بن مسعود حين وفاة الرسول ﷺ حول الأربعين .

وتوجيه الرسول ﷺ الخطاب إلى الشباب يعنى أنهم المقصودون خاصة دون سواهم فهم غرس الأمة النامى ، وعتادها فى مستقبل أيامها .

أما ربط التزوج بالاستطاعة فإنه شرط الإقدام على الزواج لأن ذلك أدعى إلى استدامته وتوفير الضمانات لاستقراره .

وقوله ﷺ : (فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) بيان لأسباب دعوة الرسول الشباب إلى الزواج . فإن للشباب فتوة ونزوة قد تدفع بهم إلى إطاعة شهواتهم فيقعون فى المعاصى والمحرمات ، والزواج يصونهم ويدفع بهم إلى العفة .

فإنه له وجاء : استشكل بأن الصوم يزيد فى تهييج الحرارة ، وذلك مما يثير الشهوة . وأجيب بأن ذلك إنما يكون فى أول الصوم ، فاذا اعتاده سكن ، كما أن الصوم ينسى الإنسان التفكير فى هذه الغريزة ، ويدفع به إلى العصمة والتعفف كما ينسيه الجماع .

أضف إلى ذلك أن الإنسان حسب طبيعته الفطرية يجعل الدافع الجنسى متأخراً عن دافع الحاجة إلى الماء والطعام . أى أنه ينصرف تفكيره فى حال صومه فى الجنس ، ولا يأبه به مادام فى حاجة شديدة إلى الماء والطعام .

فإذا قيل : إذا كان هذا شأن الصائم فماذا يكون حاله بعد الإفطار . أى

إذا كان الصوم سبيلا لكسر شهوة الإنسان فلم يعد لديه مايصرفه عن التفكير في الشهوة بعد أن يفطر ، ولم يكن له من وقاية بعد الإفطار . نقول إذا كان الصوم وقاية للإنسان ، فإن أثره بعد زواله في الليل يظل ممتداً مع الإنسان المسلم الذي التزم بما أمر به الرسول ﷺ وصام حتى يكسر شهوته

وطالما كانت قوة الإرادة كانت مراعاة الله والالتزام بهدى رسوله ﷺ وما الصوم إلا وسيلة من وسائل تقويم النفس وإلزامها بطاعة الله واستمرارها على هذا المسلك القويم .

حول معنى الحديث :

شرع الإسلام الزواج لتنظيم تلبية الدافع الجنسي في كيان الرجل والمرأة وأحله دون غيره من الروافد التي يمكن أن يلبي بها الإنسان الدافع الجنسي . ليحقق بالزواج الغاية التي يريدها الله سبحانه وتعالى ، والتي من أجلها خلق الإنسان مزوداً بها بهذا الدافع ، وهو امتداد النوع الإنساني في الوجود .

والإسلام وهو يدعو إلى تلبيته بالطريق المشروع ، فإنه لا يلبيه لذاته فقط ، وإنما له وللغاية المنشودة منه ، وذلك في نظام يتم اشتراك الرجل والمرأة فيه .

وبذلك يستجيب كل من الرجل والمرأة لواجباته نحو الآخر ، فتتلاقى مصالحهما ، وتتجاوب قلوبهما ، وبذلك يعنى الزوج بحاجات أسرته وصونها وحمايتها وهدايتها إلى الطريق المستقيم ، وتعنى الزوجة بالأسرة ، وبتربية أولادها ورعايتهم وهدايتهم ، فيقوم المجتمع الصالح ، ويعمر الكون بالعباد الصالحين .

وفى هذا الحديث يخاطب الرسول ﷺ شباب الأمة الإسلامية أن يبادروا إلى التزوج متى كان ذلك فى قدرتهم ، وكان لديهم رغبة فى النساء حتى لا تزل بهم القدم فى مهواة المعاصى وحمأة الشرور .

فإن الشباب توورة فى الجسم ، ونزوة قد تدفع إلى العدوان على مشاعر الآخرين بل وأعراضهم وحرماتهم ، وكم جر ذلك من ويلات ووقوع فى معاص استفحل فيما بعد شرها ، وعم ضررها .

ولذلك فإن الرسول ﷺ بين حكمة المبادرة إلى الزواج بعد القدرة والاستطاعة بأنها تحصن المرء عن الوقوع فى المحرمات ، واقتراف ما يغضب الله مما يزرى بالشرف والكرامة ، والزواج وسيلة الإنسان المسلم كذلك إلى غض البصر عما لا يحل من محارم الله .

فالنظر إلى النساء فضلا عن كونه غير مستباح فى الدين ، هو عدوان على مشاعر الآخرين ، وتجاوز هذا النظر إلى ما وراءه هو عدوان أكثر يتضخم ويزداد عندما يصبح جريمة تأخذ شكل الزنا الذى حرم الله إلى جانب ما فيه من انتهاك للأعراض ، لا لما يستتبعه من اختلاط الأنساب وإلا لكان مباحا عند الأمن من هذا الاختلاط بالعقم أو بالوسائل الحديثة لمنع الحمل .

وإذا كان الشباب هم المرتجون للعفة من هذا الحديث لأنهم هم الأسرع وقوعا فى الجريمة المحرمة ، وإغراء النساء بهم أكثر ، واستجابتهم لهن أسرع فإن من فوقهم من السن أجدر بالحصانة وأولى بالتعفف لأنهم اجتازوا تلك الفترة الحرجة من مراحل حياتهم وإن لم يذكرهم الحديث أو يعرض لهم

وإذا كان الزواج وسيلة التعفف والبعد عن المحرمات لدى الشباب المسلم الذى يحرص على طاعة الله والبعد عن معاصيه ،

فهؤلاء هم وحدهم الذين يتخذون من الزواج وسيلة حياطة من الزنا، ومن أسباب الوقوع فيه ، أما غيرهم من ضعاف الإيمان فإن الزواج لا يقيهم من جرائمهم وسقطاتهم وغواياتهم للنساء إذ لا يعصمهم دين أو يحول بينهم وبين معاصيهم زوجة أو زوجات .

ولذا فنحن نعتقد أن النبي ﷺ كان فى حديثه هذا واضحا فى اعتباره إيمان الشباب الذين يخاطبهم وينصحهم ، ويريد فقط أن يخفف عنهم أعباء غرائزهم خشية أن تفيض بهم فتوقعهم فيما لا يصح لهم أن يقعوا فيه .

أما من لم يملك أعباء الزواج ولا يقدر على تحمل مسئولياته وتبعاته فإن الرسول ﷺ قد وصف له العلاج وهو الصيام حتى يجعل الله له من أمره مخرجا ، فإن الصوم يكسر الشهوة ، ويقتل الميل والرغبة فى النساء لأنه يضعف البدن وينقص من الدم الذى يبعث الحرارة والقوة فى الجسم فتخبو دوافع الشهوة ، وينصرف الإنسان عن التفكير فى المرأة أو الوقوع فيما حرم الله .

ما يؤخذ من الحديث :

١ - الشباب عماد الأمة وأملها فى حاضرها ومستقبلها ولذلك يجب العمل على تربيته التربية الإسلامية حتى ينشئوا أعضاء عاملين صالحين فى مجتمعاتهم .

٢ - الزواج حصن المسلم وطريق طبيعى أحله الله ودعا إليه ديننا الحنيف طالما كان الإنسان قادراً على أعبائه ومسئولياته .

٣ - لا رهبانية فى الإسلام لأن الإسلام دين العاملين لدنياهم وآخرتهم ، وما خلق الله الحياة الدنيا ليقضيها الناس فى نسك وانزواء ، وتحريم لما أحل الله ، والزواج استجابة لنداء الطبيعة ، ووسيلة إلى إستدامة الحياة وعمران الأرض ، وعصمة من الزلل ، وسعادة للزوجين وسكن وأمن لهما .

٤ — على الإنسان المسلم أن يعمل على تذليل الصعاب أمام الشباب الراغب فى الزواج وذلك بعدم المغالاة فى المهور ، أو المطالبة بتكاليف باهظة تدفع بالشباب إلى الإحجام عن الزواج مما يفتح الباب للمعاصى ويوقع فى المحرمات .

٥ ـ إن الصيام وسيلة الإنسان الذى حالت ظروفه المالية دون قدرته على الزواج ، حتى يعصم نفسه ، ويخفف حدة الغريزة الجنسية عنده إلى أن تتهيأ له أسباب الزواج والقيام بمسئولياته .

• • •

الحديث الرابع عشر

(أساس اختيار الزوجة)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تنكح المرأة لأربع : « لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

رواه البخارى ومسلم

الراوى :

هو أبو هريرة وقد سبق التعريف به(١).

المفردات :ـ

الحسب : مايعده الإنسان من مفاخر الآباء والأقارب مأخوذ من الحساب لأن العرب كانت إذا تفاخرت عدت مناقبها ومآثر آبائها وحسبوها فيحكم لمن زاد عدده على غيره ، وقيل المراد بها هنا الأفعال الحسنة الطيبة ، فهو حسيب وهم حسباء ، وفلان لا يحتسب به : أى لا يعتد به .

تربت يداك : ترب على وزن فرح ـ كثر ترابه ، وصار فى يده التراب . ولزق بالتراب وخسر وافتقر ، ومن المجاز : تربت يداك : إذا دعوت . كأنك تقول : خبت وخسرت . يقول النووى : « الأصح الأقوى الذى عليه المحققون أنها كلمة أصلها : افتقرت ولكن العرب اعتادت استعمالها غير

---

(١) راجع ص من هذا الكتاب

قاصدة حقيقة معناها الأصلي ، فيذكرون تربت يداك ، وقاتله الله ما أشجعه ، ولا أم له ولا أب لك ، وثكلتك أمك ، وويل له ، وما أشبه هذا من ألفاظهم ويقولونها عند إنكار الشيء أو الزجر عنه أو استعظامه أو الحث عليه ، أو الإعجاب به ، والله أعلم . أي أنها جملة خبرية بمعنى الدعاء لكن لا يراد بها حقيقته ، بل يراد بها الحث والتحريض على فعل الشيء .

وقال آخرون إنها دعاء على حقيقته : أي التصقت يداك بالتراب بسبب الفقر والمراد خبت وخسرت إن لم تعمل بهذه النصيحة .

اللغويات : ـ

تنكح : فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره .

المرأة : نائب فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره . وقد بني الفعل للمجهول هنا ، لأن الفاعل لا يتعلق به غرض إلا حيث يراد النصح في آخر الحديث ، وبناء الفعل للمفعول ، لأن المفعول هو المقصود الإخبار عنه ، إذ كان غرض الحديث في أوله هو بيان ما اعتاده الناس أن يكون مرغباً في المرأة من صفات تتخلق بها أو مميزات تمتاز بها .

لمالها ولحسبها : كل كلمة من هذه الكلمات الأربع : جاءت مجرورة باللام مضافة إلى ضمير المرأة السابق ذكرها وكل كلمة منها بدل من أربع : فأما إضافة الكلمة إلى ضمير المرأة (ها) فإنها تشير إلى اختصاص المرأة بهذه الصفة واقعاً حاصلا أو متوقعاً لها بحسب الشرع والعادة . وأما إعادة حرف الجر مع كل كلمة فإنه يعني أن كلا مستقلا عن سواه وسيلة ترغيب في المرأة ، وإن لم يمنع اجتماعها كلها أو بعضها في امرأة واحدة .

التعبير البلاغي :ـ

تنكح المرأة : خبر أريد به بيان الواقع .

إظفر بذات الدين : أمر أريد به النصح والإرشاد .

تربت يداك : خبر أريد منه الحث والتحريض على الالتزام بما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

مع أسلوب الحديث :ـ

تنكح المرأة لأربع : جملة توضح مرجحات المرأة لدى الرجل الراغب فى الزواج وهى المال ، والحسب ، والجمال ، والدين ، وهـذا التحديد من الرسول ﷺ قائم على الاستقصاء المستفاد من التجربة والملاحظة الدقيقة ، والخبرة بعادات الناس ونفسياتهم ودوافعهم ، على مر الأزمنة وتلاحق العصور ، وإن تميز مرغب على آخر ولدى فرد دون سواه أو فى بيئة من البيئات حسب النزعات النفسية والاتجاهات الاجتماعية التى تنتظم حياة الناس فى وقت من الأوقات .

فهذه الصفات الأربع هى الأصول الأساسية التى تحتوى مختلف المحاسن فيما يلمس بالحواس ، ويدرك بالذوق ، وتتعارف عليه المجتمعات فى شتى عصور الزمن المختلفة .

فاظفر بذات الدين : نصح من الرسول ﷺ للإنسان المسلم بأن يحرص على صاحبة الدين فى اختيار شريكة حياته ورفيقة عمره ، والتعبير بكلمة

« الظفر » يوحى بأن ما يدعو إليه الرسول من الحرص على صاحبة الدين هو أغلى وأجل ما يسعى إليه المرء ويبذل فيه حرصه واهتمامه حتى يحصل عليه ويتحقق له .

ذات الدين : هى صاحبته الحريصة عليه ، المحبة له ، والمتخلقة به .

تربت يداك : جملة قد تعنى الشرط الغائى: أى حتى لو خسرت أو افتقرت أى أن ذات الدين مع الخسارة ومع الافتقار أفضل من سواها ، وقد تعنى لوناً من الحث والتحريض على الحرص على ذات الدين بأسلوب التقريع والزجر والسب : أى إن لم تفعل ذلك كنت تسير فى طريق الفقر ، وتصل بنفسك إلى الهلاك ، فهى على حد قولنا للشاعر مثلا قاتله الله لقد أجاد ، وعليه يكون التقدير فى الحديث الشريف : أى أن الظفر بذات الدين هو الغنى ، ويجب الحرص عليه ، وهذا هو الرأى الراجح فى معنى هذه الجملة .

حول معنى الحديث :—

الزواج سنة من السنن الكريمة التى حث عليها ديننا الإسلامى الحنيف ليقيم أساس المجتمع الصالح ، ويقضى على بواعث الشر التى تتولد عن ثوران الغرائز الجنسية . ولذلك نجد الرسول ﷺ يقول : « تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة . . . » ويقول : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

ومع دعوته إلى الزواج والبناء بالمرأة حرص على قداسة العلاقات الزوجية وطالب بالحفاظ عليها واحترامها، حتى تقوم الأسرة الصالحة وتبنى المجتمعات

الراقية وتصان العروض ، وتحفظ الأنساب ، ومن ثم فقد أوضح الأسس النفسية التى ترجح اختيار الزوجة فى نظر الرجل وبين أهمها وآكدها فى دوام العشرة الزوجية والحفاظ عليها فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم موضوع هذه الدراسة .

فالناس فى اختيار زوجاتهم أمام دوافع أربعة :

١ - منهم من يصطفى الزوجه الغنية ، ليباهى بغناها ، ولينتفع بمالها ويغفل أو يتغافل عما يجره عليه الزواج منها من أضرار ، فكثيراً ما يصير تابعاً لها يأتمر بأمرها ويخضع لأهوائها ، ويفقد شخصيته بجوارها ، فيكون المال الذى اغتر به سبيلا إلى ذله واستكانته وتدمير حياته كلها .

٢ - ومنهم من يختار الزوجة لحسبها ، ليتخذ من ذلك سبيلا إلى التفاخر بها وبمالها وما لأسرتها من مكانة وجاه وسلطان وليتخذ منه مجداً له وعوناً على قضاء حاجته ورفع مكانته بين الناس ، وهذا قد يجر على الشخص الكثير من الشعور بالمهانة ، والازدراء والاحتقار ، سواء من أصهاره وأنسبائه أو ممن يعرفونه ويتعاملون معه ، بل قد تعيره زوجته فى مقام الخصومة أو الشجار ، فتكتئب نفس الرجل ، وتتمزق ثقته بنفسه . ولا يملك إزاء ذلك سوى الندم واتهام نفسه بقصور النظر ورداءة التفكير وحقارته يوم اختار صاحبة الحسب والنسب .

٣ - ومن الناس من يستهويه الجمال ، فيسلب لبه ، ويستحوذ على فكره ويغفل عما عدا ذلك من خلق ودين ومنبت طيب . وهذا ولا شك رجل قصير النظر ، متسرع فى أحكامه ، لأن الحياة الزوجية لا تقوم على الجمال وحده ، وكثيراً ما تنخدع الحسناوات بجمالهن فيحلن حياة الزوج إلى تعاسة وشقاوة إن لم يعصمها دين وخلق كريم .

٤ - أما الرجل البعيد النظر ، الذى يبتغى سعادة حياته الزوجية ويتحرى فى اختياره أن تكون شريكة عمره إنسانة يثق فيها وفى تمسكها بحياتها الزوجية وتقديسها لها فلا يجد أمامه سوى صاحبة الدين ذات الخلق الفاضل التى تحسن عشرته، وتصون عرضه وتحافظ على ماله وتسهم فى إسعاده وتشاركه فى نعمائه وضرائه.

فمال المرأة قد يضيع فى لحظة من اللحظات ، وجمالها قد يذوى ويذبل ، وحسب الشريفة قد يتضاءل ويطوى، أما المتدينة فإنها لا تزيد مع تقدم حياتها وعمرها إلا كمالا وفضلا وعفة وتقى ، فيطمئن الرجل إليها ويفضى لها بذات نفسه ، ويطلعها على مكنون أمره ويتحقق فيها قول الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فتهنأ الحياة وتكون زوجة حفيظة على مال زوجها ومنزله ، مربية لأولادها على التقوى والصلاح وبذلك تقوم الأسرة المسلمة وينشأ المجتمع الصالح ولهذا وجدنا الرسول ﷺ فى هذا الحديث يدفع بالشباب إلى اختيار الزوجة ذات الدين « فاظفر بذات الدين » .

ويدعو فى كثير من أحاديثه إلى ذلك : « لا تتزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تتزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » .

وليس معنى ذلك أن يعرض الإنسان عن ذات المال والحسب والجمال إذا كانت متدينة ولكن الرسول ﷺ يستحث الناس فى هذا الحديث على ذات الدين فى مقابل ذات المال وذات الجمال ، وذات الحسب التى تخلو من الدين . أى إن وجد نسوة كل واحدة منهن تتميز عن سواها بميزة واحدة من المال أو من الحسب أو من الحسن أو من الدين أو تميزت واحدة منهن

بمزايا المال ، والحسب والجمال ولا دين لها ، فعلى المرء المسلم أن يحرص على ذات الدين فإنها الحصن الحصين للحياة الزوجية ، وصمام الأمان فى استدامة العشرة ، فهى الجديرة بأن تقتنى وتدخر ، ولا تعدل بها أخرى .

أما إذا جمعت المرأة إلى جوار دينها الحريصة عليه ، مزايا أخرى من المال والحسن والحسب ، أو جمعت ذلك كله فهى ولا شك أفضل وأولى بالارتباط بها والتزوج منها ، ولهذا نجد الرسول ﷺ يقول : « ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة ، التى إن نظر إليها سرته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله ، وإن أمرها أطاعته ، وإن أقسم عليها أبرته » ، فعلى الشباب أن يضعوا هذا النصح الغالى أمام أعينهم عند اختيار الزوجة وألا ينخدعوا بالمغريات الدنيوية من مال وجاه وحسب وجمال ويتركوا صاحبة الدين فإن ذات الدين لأنها آمن للرجل فى عثرات حياته وأبقى على تقلبات الزمن وأجلب لسعادته وحسن سمعته .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ يوجهنا الرسول ﷺ إلى أن أعراض الدنيا من مال وجاه وجمال ليست هى القيم الأساسية فى تقدير الإنسان المسلم ، وإنما القيمة الأساسية هى التدين ، والخلق الكريم .

٢ ـ أساس الحياة الزوجية العشرة الطيبة ، والمودة والتعاون على بناء الأسرة ، ولا يكون ذلك إلا من زوجين يتمتعان بالخلق القويم ، واستقامة السلوك .

٣ - يلفت الرسول صلى الله عليه وسلم نظر الإنسان المسلم - رجلا كان أو امرأة - إلى ضرورة التمسك بالزوج صاحب الدين ، فهو الركيزة الأولى التى يجب أن يضعها الشباب نصب أعينهم عند اختيار الزوج واختيار آل الفتاة لزوجها .

٤ - هذا التوجيه النبوى الشريف يعمل على بناء الأسرة بناء كريماً وإقامة مجتمع صالح أساسه الأسرة المسلمة .

* * *

الحديث الخامس عشر

« مقومات الحياة المثلى »

عن أبي ذر جندب بن جنادة ، وأبي عبد الرحمن بن معاذ بن جبل – رضي الله عنهما – عن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

رواه الترمذي ، وقال حديث حسن ، وفي بعض النسخ : حسن صحيح .

راوي الحديث : –

ذكر الترمذي أن راوي الحديث هو أبو ذر ، ومعاذ بن جبل – رضي الله عنهما –

١ – أما أبو ذر فهو : أبو ذر الغفاري وقد اختلف في اسمه اختلافا كثيراً فقيل : جندب بن جنادة ، وهو أكثر وأصح ما قيل فيه والمشهور ، وينتهي نسبه إلى غفار ، وكذلك أمه رملة بنت الوقيعة :

يقال : إنه أسلم بعد أربعة وكان خامساً ، ثم انصرف إلى بلاده « غفار » وأقام بها حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة .

وروى ابن عباس كيف أسلم فيقول : لما بلغ أبا ذر مبعث النبي قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتني . فانطلق الأخ حتى قدم وسمع من قوله ،

ثم رجع إلى أبى ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر ، فقال : ما شفيتنى مما أردت .

فتزود وحمل قربة له فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ـ الحرام ـ فالتمس النبى ﷺ وهو لا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه علىّ فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه . فلم يسأل واحداً منهما صاحبه على شىء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد .

وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه فمر به علىّ فقال : اما آن الرجل أن يعلم منزله ؟ فأقامه فذهب به معه ـ استضافه ـ لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه علىّ معه ثم قال : ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟ قال : إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدنى فعلت . ففعل .

فأخبره قال : وإنه حق ، وإنه رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإنى إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء . فإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى .

ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله ، وأسلم مكانه . فقال له النبى : ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى . قال : والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه ، فقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم

ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه .

عاد إلى غفار بعد إسلامه فأخبر أخاه أنيسا وأمه بإسلامه وعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم اتجه إلى قومه وناقشهم فى أمر عبادة الأصنام وما جاء به محمد فأسلم على يديه جمع عظيم كان فى مقدمتهم سيد قومهم خفاف بن أيماء ابن رخصة الغفارى .

قال عنه رسول الله ﷺ : « أبو ذر فى أمتى على زهد عيسى بن مريم » ، وقال عنه أيضاً : « ما أقلت الغبراء وأظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر » .

وقد نفاه الخليفة عثمان بن عفان إلى الربذة[1] فى أخريات حياته وذلك بسبب دعوته إلى الاشتراكية الإسلامية التى تدعو إلى إنفاق المال وتقسيمه على كافة المسلمين ، ومهاجمة كانزى المال وعلى رأسهم بنو أمية بما فيهم معاوية الذى قد شكاه إلى الخليفة عثمان بن عفان ، وأوضح له أنه سيفسد القوم عليه إن تركه يستمر فى دعوته تلك .

وقد روى عنه كثير من الصحابة منهم عمر ، وابنه عبد الله ، وأبو قتادة ، وأنس بن مالك وغيرهم

وقد توفى فى الطاعون الذى أصاب عمورواس بالشام سنة ثمانى عشرة

---

(١) الربذة : على ثلاث مراحل من المدينة وهى منزل الحجاج القادمين من العراق .

من الهجرة ، وكان عمره ثمانيا وثلاثين على أصح الأقوال . وصلى عليه عبد الله بن مسعود ، ثم مات بعده فى ذلك العام[1] .

٢ - وثانى رواة الحديث : معاذ بن جبل ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود وكان عمره عند إسلامه ثمانى عشرة سنة ، وكان أفضل شباب الأنصار حلماً وعلماً .

وقد بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن بعد غزوة تبوك ، وخرج الرسول ﷺ يشيعه ويوصيه فلما فرغ قال له : يا معاذ إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك تمر بمسجدى هذا ، وقبرى هذا ، فبكى معاذ .

وفعلا تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ فلم يزل معاذ باليمن حتى توفى رسول الله ﷺ ، ولم يرجع من اليمن إلا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وفى فضائله رويت كثير من الأحاديث الشريفة . فمن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأبى ابن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبى حذيفة »

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وذكر الحديث ، وقال : وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل .

---

(١) راجع أسد الغابة ٦/٩٩ وما بعدها .

وروى ثور بن يزيد قال : كان معاذ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم نامت العيون وغارت النجوم ، وأنت حى قيوم ، اللهم طلبى الجنة بطىء ، وهربى من النار ضعيف ، اللهم اجعل لى عندك هدى تردہ إلىّ يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد » .

ويروى فروة الأشجعى عن ابن مسعود : « أن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، فقلت له : إنما قال الله : (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله) فأعاد قوله : إن معاذاً كان أمة قانتا لله . . . الآية ، وقال : ما الأمة ؟ وما القانت ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال الأمة الذى يعلم الخير ويؤتم به ، والقانت : المطيع لله عز وجل ، وكذلك كان معاذ معلماً للخير مطيعاً لله عز وجل ولرسوله[١] .

المفردات :

اتق الله : أمر من الفعل « وقى » فقلبت الواو « تاء » .

واتقى الشىء : استقبله وجعل بينه وبينه حاجزاً ، ويقال : اتقاه : تحفظ منه وتصون ، وعمل على ألا يصيبه ضرر منه ، ومن ذلك : اتقاء الله فهو تجنب عذابه[٢] فالاتقاء : اتخاذ الوقاية مما يضر ، وهو بعبارة مختصرة .الحذر أى فعل طاعته تعالى واجتناب معاصيه خوفا ـ وقاية ـ من عذابه .

---

(١) راجع أسد الغابة ٩٩/٦ ، وأبو ذر الغفارى تأليف عبد الحميد جودة السحار . دار مصر للطباعة ، الطبعة الرابعة ص ٥٢ وما بعدها ، ١٣٠ وما بعدها .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم .

حيثما كنت : فى أى مكان وفى أى حال .

أتبع : ألحق ، وافعل بعدها مباشرة واخلقها أى اجعل خلفها .

السيئة : الخصلة التى تسوء بقبحها ، والمراد المعصية .

الحسنة : الخصلة التى تسر بحسنها ، والمراد الطاعة .

تمحها : تزيلها وتكفرها .

خالق الناس : عاملهم وعاشرهم .

اللغويات :

اتق : فعل أمر مبنى على حذف الياء ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت .

حيثما : ظرف مكان لإضافته إليه « كنت » ، وقد أضيف الى الجملة « كنت » ليعم الأمر بالتقوى فى أى مكان وعلى أية حال .

ويمكن أن تكون « حيث » ظرف زمان ، و « ما » زائدة بدليل حذفها فى بعض الروايات ، وعلى هذا فالأمر بالتقوى يعم كل زمان ويكون المراد على إرادة « الزمانية » أعم من المكان .

كنت : كان تامة بمعنى : « وجدت » وتاء الخطاب فى محل رفع فاعل لها .

وأتبع : الواو عاطفة على الفعل قبلها « اتق » ، وأتبع : فعل أمر مجزوم بالسكون والفاعل ضمير مستتر تقديره « أنت » .

السيئة الحسنة : السيئة مفعول أول للفعل « أتبع » المتعدى بالهمزة ، والحسنة : مفعول ثان منصوب بالفتحة الظاهرة .

تمحها : تمح : فعل مضارع مجزوم فى جواب الأمر (أتبع) وعلامة جزمه حذف الواو لأن أصل الفعل (تمحو) وفاعله ضمير مستتر تقديره (أنت) ، و (ها) ضمير فى محل نصب مفعول به .

خالق الناس : (خالق) : فعل أمر مبنى على السكون ، وفاعله ضمير مستتر تقديره : (أنت) و (الناس) مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره

بخلق حسن : الباء حرف جر ، وخلق : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، و « حسن » صفة لخلق مجرورة بالكسرة الظاهرة .

الجوانب البلاغية : -

أولا : الأوامر فى الحديث الشريف للنصح والإرشاد .

ثانياً : (اتق الله حيثما كنت) : فى هذه العبارة إيجازان :

أحدهما بالحذف فى قوله (اتق الله) إذ المعنى : اتق عذاب الله ، أو غضب الله ، وذلك على حد قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (اتق النار ولو بشق تمرة) .

وثانيهما فى قوله (حيثما كنت) لأنها تشمل الأمر بتقوى الله فى جميع الأزمنة والأمكنة دون حصر ، ففيها إيجاز بالقصر ، لأنها أغنت عن كلام كثير يقال بدلا منها ، مع أن العبارة وفت بالغرض كاملا .

وفى قوله ﷺ (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) : استعارة تبعية فى : وأتبع، حيث أن التتابع غالباً ما يكون فى المحسوسات ، فقد صور الإتيان بالحسنة بعد السيئة بتتابع شىء محسوس لمحسوس آخر . ويمكن أن يكون ما فى العبارة من قبيل الاستعارة المكنية ، فقد صورت الحسنة والسيئة بشيئين محسوسين يأتى أحدهما بعد الآخر ، وإثبات التتابع لهما قرينة الاستعارة

وفى قوله ﷺ : (وخالق الناس بخلق حسن) : استعارة مكنية حيث وصف الخلق بالحسن ، لأنه خاص بالمحسوسات ، فقد صور الخلق بشىء محسوس يمكن وصفه بالحسن أو القبح . ويمكن أن تكون العبارة على سبل الحقيقة ، إذا اعتبرنا أن الحسن ما حسنة الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ، وهنا يصح وصف الخلق وهو أمر معنوى بالحسن أو القبح .

مع أسلوب الحديث :-

هذا الحديث يعتبر دعامة من دعائم الدين الأساسية ، وقاعدة من قواعده الأصيلة . فقد اشتمل على ثلاثة حقوق : حق الله ، وحق الإنسان المكلف ، وحق العباد .

فأما حق الله تعالى : فهو التقوى فى كل حين وعلى كل الأحوال ، وأما حق الإنسان فهو إتباع السيئة الحسنة حتى تستمر علاقته المتينة بالله . وأما حق العباد فهو معاشرتهم بأحسن الأخلاق وأكرمها .

أما الخطاب فى الجمل الثلاث التى وردت فى هذا الحديث : اتق الله ، وأتبع ....، وخالق ... فهو فى بادىء الأمر لراوى الحديث ، ثم هو بعد ذلك للمسلمين عامة وكل مكلف منهم ، والمراد بالأمر النصح والارشاد

بل إنه للإلزام لأن المطلوب هنا يمثل أسس الدين الصحيح فى العقيدة والمعاملات ، وهى أمور يجب على المسلم أن يلتزم بها ، وإلا اهتزت عقيدته وابتعد عن صفات الإنسان المسلم . فتقوى الله دستور كامل للحياة المثلى ، وهى واجبة على كل مسلم لأنها تستدعى خشية الله وطاعته ، ومن طاعة الله أن نعبده كما ينبغى ، وأن نعامل الغير بما نحب أن نعامل به ، وأن يكون لكل منا من ضميره — لا من الناس — وازع يحول بيننا وبين المعصية .

واتباع السيئة الحسنة قانون عام لتكفير السيئات . وهو أمر واجب مادامت طبائعنا البشرية توقعنا فى الخطايا — فكل ابن آدم خطاء — وليس من شك فى أننا جميعاً حريصون على أن تمحى سيئاتنا فلا تحسب علينا ، ولا نؤاخذ بها . ومن رحمة الله بنا أن جعل وسيلة الصفح فى أيدينا ، ففى وسعنا أن نفعل الحسنة بعد السيئة ، وكما سجلت السيئة علينا ، لأننا فعلناها ، فستمحى من صحائفنا لأننا فعلنا حسنة ، إذ الحسنة تذهب السيئة كما يطفىء الماء النار . وهذا يدل على ضرورة محاسبة الإنسان لنفسه ، وأن ذلك واجب الإنسان المسلم عملا بقوله ﷺ : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » .

وفى الأمر بمعاملة الناس بالخلق الحسن : توجيه إلى حب الخير للناس جميعاً ، وإلى كف الأذى عنهم ، إذ الخلق الحسن كلمة جامعة لكل خصال الخير وصفات البر .

فإذا حرص الإنسان المسلم على ذلك كان مآله الجنة ، أما إذا حاد عن ذلك وكان يسىء الخلق كان مآله النار فعنه ﷺ أنه قال : « إن الخلق الحسن زمام من رحمة الله تعالى ، والزمام بيد ملك الملك يجره إلى الخير ، والخير يجره إلى الجنة ، وإن الخلق السىء زمام من عذاب الله تعالى فى أنف صاحبه ، والزمام بيد شيطان ، والشيطان يجره إلى الشر ، والشر يجره إلى النار » .

وحسن الخلق من خصال التقوى ، ولا تتم إلا به ، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه ، لأن كثيراً من الناس يظنون أن التقوى هى القيام بحق الله دون حقوق العباد ولذلك كان النص هنا على الأمر بإحسان العشرة للناس فإن الرسول ﷺ كان قد أرسل معاذ بن جبل - راوى الحديث - إلى اليمن معلماً لهم ومفتياً وقاضياً ، ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن مما لا يحتاج إليه غيره مما لا حاجة للناس به ولا يخالطهم ، بل إنه قد يكون الجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق العباد أمراً عزيزاً جداً لا يقوى عليه إلا الأنبياء والصديقون ، مما استدعى توجيه الأنظار إليه وذلك بإفراده بالحديث عنه والنص عليه .

فالحديث بجمله الثلاث القصيرة التى اعتمدت على الأسلوب الإنشائى الأمر - قد وجه الإنسان المسلم إلى دعائم الدين الأساسية وأوضح له طريق الفلاح فى دنياه ، ووضع أمامه الطريقة المثلى فى التعامل مع الله ، ومع نفسه ، ومع الناس فى عبارات موجزة ولكنها جمعت خيرى الدنيا والآخرة .

حول معنى الحديث : -

من خلال ثلاث جمل قصار يوضح الرسول ﷺ للإنسان المسلم السلوك القويم فى تعامله مع ربه ، ومع نفسه ، ومع الناس حتى يكون على الطريق القويم الذى يرضى عنه الله ورسوله فتكون حياته سعيدة هانئة ، وآخرته رضوان ورحمة ونعيم مقيم :

١ - أما عن تعامل الإنسان مع ربه فقد أوجزه الرسول ﷺ فى جملة واحدة : (اتق الله حيثما كنت) . وهذه الجملة على قلة ألفاظها تحوى مضامين كثيرة ، ومعان جليلة ، بل إنها فى حقيقة الأمر دستور كامل للحياة الإسلامية

الحقة لأنها وصية جامعة لحقوق الله وحقوق العباد . فتقوى الله فى أخص

معانيها : أن تضع نصب عينيك اطلاع الله على أعمالك وأقوالك مما يدفع بك إلى أن تخشاه ولا تقع فيما يغضبه ، أى أن تحافظ على علاقتك بالله ، ولا تدنسها بالوقوع فى الآثام والسيئات . فتقوى الله تتطلب خشيته وطاعته فى السر والعلن ، فى الجهر والخفاء ، فتؤدى حق الله ، من صلاة وصيام وحج ، وتؤدى حق الناس ، من زكاة وحفاظ على أعراضهم وأموالهم .

ولذلك يقول عمر بن عبد العزيز : « التقوى هى ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترضه الله » وهى كما قال بعضهم : « أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك » : والتقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات ، ولأن الأصل فيها : أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فعل طاعته ، واجتناب نواهيه . فإذا فعل الإنسان الطاعة والتزم بها فإنه قد أدى حق الله وحق الناس ، لأن طاعة الله تستوجب العمل بكتابه وسنة رسوله ، والله يدعو إلى الخير والحق والعدل والصدق والأمانة ، والعفة فى القول ، والبعد عن الكذب والرياء والنفاق والخداع ويدعو الرسول - تبليغاً عن ربه - بأنه لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويدعو إلى إكرام الجـــار ومساعدة المحتاج ، والوقوف بجانب المظلوم ، وأداء الحقوق ، ورد الأمانات ، وإكرام الضيف ، وتقديم يد العون لكل محتاج .

وهذه الأمور كلها داخلة تحت فعل الواجبات وترك المنهيات ، وهى فى الوقت ذاته تمثل أساس الدين وقواعده التى يقوم عليها

ولذلك كان ثواب التقوى عظيما نجده فى آيات كثيرة من القرآن الكريم

فالله تعالى يقول : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين » . وجزاؤها النجاة من الشدائد والرزق الوفير : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » . وجزاؤها تكفير السيئات وغفران الذنوب ، فالله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » .

وجزاء التقوى أيضاً النجاة من النار حيث يقول الله تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا .. »

وجزاؤها النصر والتأييد : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »

ويقول تعالى : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » .

يقول معاذ بن جبل : « ينادي يوم القيامة أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر ، قالوا له : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان ، وأخلصوا لله بالعبادة » .

وإذا كانت التقوى بهذه المثابة ، وثوابها على هذه الدرجة فإن العاقل من التزم بها وجعلها خلقاً له حتى ينال خيري الدنيا والآخرة ، ولهذا كان السلف الصالح — رضوان الله عليهم — يتواصون بها ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول في خطبته : « أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : « إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » .

ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته ، وأول ما قال له : اتق الله يا عمر

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله : أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله يا عمر .

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله : « أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله عزوجل فإنه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك » .

واستعمل على بن أبى طالب رجلا على سرية فقال له : (أوصيك بتقوى الله عز وجل الذى لا بد لك من لقاه ، ولا منتهى لك دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : (أوصيك بتقوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب الا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، جعلنا الله وإياك من المتقين)

وقيل لرجل من التابعين عند موته أوصنا فقال : (أوصيكم بخاتمة سورة النحل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

وكتب رجل من السلف الى أخ له : أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله وإياك عليها ، وأوجب لنا ولك ثوابها .

وتمام التقوى كما يروى أبو ذر : أن يتقى العبد ربه حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حجابا بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذى يصيرهم إليه فقال :

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) . فلا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ، ولا شيئا من الشر أن تهجره ، وهى رأس الأمر كله ، ففى حديث رسول الله ﷺ الطويل الذى رواه أبو ذر . قلت يا رسول الله أوصنى ، قال : « أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله » . ولذلك كان ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً .

ولما خطب ﷺ الناس فى حجة الوداع يوم النحر ، وصى الناس بتقوى الله ، والسمع والطاعة . وقال أبو ذر : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ، ثم قال : يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم) .

٢ ـ وأما عن تعامل الإنسان مع نفسه فقد حدده الرسول ﷺ فى قوله : (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) أى إذا فعلت ما يسىء إليك ، أى يوقعك فى معصية الله ، فاستغفر الله من ذلك القول أو الفعل ، وافعل بعده حسنة ـ وهى كل ما يتقرب به إلى الله تعالى ـ لتمحو هذه السيئة ، أى تزيلها ، وترفع عقاب الله الذى سجل عليك بسببها ، وذلك كما يزيل العلاج المرض ويمحوه ، وكما ينظف الماء الأشياء من أوساخها وأدرانها التى علقت بها . يقول الله تعالى : (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) .

وفى الصحيحين عن ابن مسعود : أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ، ثم أتى النبى ﷺ فذكر ذلك له ، فسكت النبى ﷺ حتى نزلت هذه الآية ، فدعاه فقرأها عليه ، فقال رجل : هذا له خاصة ؟ قال : بل للناس عامة [١] .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٢ / ٤٦٢

وقد وصى الله المتقين بمثل ما وصى به النبي ﷺ في هذه الوصية فقال : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا ، وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

وخرج الحاكم من حديث عقبة بن عامر : « أن رجلا أتى النبي ﷺ قال يا رسول الله أحدنا يذنب ، قال : يكتب عليه ، قال ثم يستغفر منه ، قال : يغفر له ويتاب عليه ، قال : فيعود فيذنب ، قال يكتب عليه ، قال : يستغفر منه ويتوب ، قال : يغفر له ويتاب عليه ، قال : فيعود فيذنب ، قال يكتب عليه ، قال : ثم يستغفر منه ويتوب ، قال : يغفر له ويتاب عليه ولا يمل الله حتى تملوا » [1] .

وهذا فضل من الله ورحمة فإنه لا بد أن يقع منا جميعاً - نحن البشر - تفريط في التقوى ، إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات - فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون - وكان فضل الله علينا عظيما حيث جعل وسيلة الصفح عن هذه الأخطاء في أيدينا ، وإنه لقانون سماوي كريم ينبغي ألا ننساه في حياتنا ، فإننا جميعاً حريصون على أن تمحى سيئاتنا فلا تحسب علينا ، ولا نؤاخذ بها ، ومن السهل الميسور أن نفعل الحسنة بعد السيئة لنرفع بها سيئاتنا فلا تحسب علينا ، فتظل علاقتنا بالله نقية طاهرة ، مبرأة من كل نقص أو تشويه

---

(١) راجع جامع العلوم والحكم ص ١٤٣ .

والصلاة وإسباغ الوضوء والذكر والاستغفار ، والإحسان إلى الآخرين من الحسنات التى تذهب السيئات . ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ».

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره . وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ».

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من قال سبحان الله وبحمده فى كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ». وفيهما عنه عن النبى ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أفضل من ذلك ». والأحاديث فى هذا كثيرة .

أما عن السيئة التى تكفرها الحسنة فهل هى الكبائر والصغائر أم الصغائر فقط ؟ أم غير ذلك ؟

اختلف العلماء فى ذلك على ثلاثة آراء . فذهب قوم إلى أن الحسنات تكفر الصغائر فقط أما الكبائر فلا بد لها من التوبة لأن الله أمر العباد بالتوبة وجعل من لم يتب ظالماً ، وقد اتفقت الأمة على أنه فرض ، والفرائض لا تؤدى إلا بنية وقصد ، ولو كانت الكبائر التى تقع يكفرها الوضوء أو الصلاة أو أداء

بقية أركان الإسلام ، لم يحتج إلى التوبة ، وهذا باطل بالإجماع وأيضاً فلو كفرت الكبائر بفعل الفرائض لم يبق لأحد ذنب يدخل به النار إذا أتى بالفرائض ، وهذا باطل .

هذا ما ذكره ابن عبد البر فى كتابه التمهيد ، وحكى إجماع المسلمين على ذلك واستدل عليه بأحاديث منها قوله ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ، وهذا يدل على أن الكبائر لا تكفرها الفرائض . وفى صحيح مسلم عن عثمان عن النبى ﷺ قال : « ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم يؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله » . وهذا كله يدل على أن الكبائر لا تكفرها الحسنات ، بل لا بد لها من توبة

وذهب آخرون إلى أن الأعمال الحسنة تكفر الكبائر ، ومنهم ابن حزم الظاهرى ، فكما أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر من غير قصد ولا نية ، فكذلك الكبائر . وقد استدل على ذلك بأن الله وعد المؤمنين والمتقين بالمغفرة وتكفير السيئات ، وهذا مذكور فى غير موضع من القرآن الكريم ، وقد صار هذا من المتقين ، فإنه فعل الفرائض واجتنب الكبائر ، واجتناب الكبائر لا يحتاج إلى نية وقصد . واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً) والسيئات تشمل الكبائر والصغائر .

وقالت طائفة لا تمحى الذنوب من صحائف الأعمال بتوبة ولا غيرها ، بل لا بد أن يوقف عليها صاحبها ويقرأها يوم القيامة . واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

وقد روى هذا القول عن الحسن البصرى . قال الحسن : « فالعبد يذنب ثم يتوب ويستغفر الله فيغفر له ، ولكن لا يمحاه من كتابه دون أن يقف عليه ، ثم يسأله عنه ، ثم بكى الحسن بكاء شديداً وقال : ولو لم نبك إلا للحياء من ذلك المقام لكان ينبغى لنا أن نبكى .

وقال أبو هريرة : « يدنى الله العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه ، فيستره من الخلائق كلها ، ويدفع إليه كتابه فى ذلك الستر فيقول : اقرأ يابن آدم كتابك ، فيقرأ فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسر بها قلبه ، فيقول الله أتعرف يا عبدى ، فيقول نعم ، فيقول : إنى قبلتها منك فيسجد ، فيقول : ارفع رأسك وعد فى كتابك ، فيمر بالسيئة فيسود لها وجهه ويوجل لها قلبه وترتعد منها فرائصه ، ويأخذه من الحياء من ربه ما لا يعلمه غيره ، فيقول الله أتعرف ياعبدى ؟ . فيقول نعم يا رب . فيقول : إنى قد غفرتها لك ، فيسجد فلا يرى منه الخلائق إلا السجود حتى ينادى بعضهم بعضاً : طوبى لهذا العبد الذى لم يعص الله قط . ولا يدرون ما قد لقى فيما بينه وبين ربه عز وجل مما قد وقفه عليه »[1] .

والصحيح الرأى الأول وهو ما عليه جمهور المسلمين . فالحسنات تكفر الصغائر أما الكبائر فلا تكفر بدون التوبة ، لأن التوبة فرض على العباد ، وقد قال الله تعالى (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) . وقد فسر الصحابة ـ كعمر وعلى وابن مسعود ـ التوبة بالندم ، ومنهم من فسرها بالعزم على ألا يعود . ويبقى فى هذه المسألة أمران :

أولهما : أن ظاهر الحديث يفهم منه أن الحسنة لا تمحو الا سيئة واحدة وإن كانت الحسنة بعشر ، وأن التضعيف لا يمحو إلا سيئة ، وليس هذا على

---

(١) راجع ذلك فى جامع العلوم والحكم ص ١٥٨ .

ظاهره ، بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات . فقد ورد عنه ﷺ ما يفيد ذلك فى أحاديث أخرى كثيرة منها قوله ﷺ : « تكبرون دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتسبحون عشراً فذلك مائة وخمسون باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان » ثم قال ﷺ : « وأيكم يفعل فى اليوم الواحد ألف وخمسمائة سيئة ؟ [1] » .

فهذا استفهام يراد به الاستبعاد واستحالة وقوع مثل هذا العدد من السيئات فى اليوم الواحد من الإنسان المسلم . وقوله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة كتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له عدل عشر رقاب » . ويقول الله تعالى : ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ . فدلت الآية على أن الحسنة تتضاعف مرات بل قد تصل إلى ما يزيد إلى مائة ضعف بفضل الله ورحمته .

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الحسنة الواحدة تكفر السيئات كما تتضاعف الحسنات وتتكاثر .

وثانيهما : أن ظاهر الحديث أن الحسنة تمحو السيئة مطلقاً ، وهذا محمول على السيئة المتعلقة بحق الله تعالى ، أما السيئة المتعلقة بحق العباد ، كالجهل على الآخرين والغيبة والنميمة وأمثال ذلك فلا يمحوها إلا الاستحلال من العباد ، لأن هذا حق ولا يسقط إلا بالعفو من صاحبه وذلك بأن تبين له جهة الظلامة إذا أمنت جانبه ، أو تطلب منه العفو عما ارتكبت فى حقه ولا تبين له ما كان منك إن توقعت منه شراً أو إساءة ، فقد يكون فى تبيين ما ارتكبت فى حقه دافعاً للاعتداء عليك أو الثأر منك مما قد يزيد فى العداوة ويورث الكراهية وهذا مالا يرضاه الإسلام أو يقره الدين الحنيف .

---

(١) رواه أبو داود والنسائى ، وقال حسن صحيح .

فإذا لم يتمكن من الاستحلال كأن يكون الشخص الذى أسيء إليه قد مات أو هاجر، أو غير معروف مكانه أو أن المسيء إليه يخاف منه أو يهاب مواجهته أو مصارحته فإن فعل الحسنة يكون مكفراً للخطايا فى حق الآخرين تحقيقاً لقول الله تعالى: (إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم). وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم) إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها

٣ - وعن علاقة الإنسان بغيره والطريقة المثلى فى التعامل مع الآخرين يوجهنا الرسول ﷺ إلى خير طريق بقوله: « وخالق الناس بخلق حسن »، وهذه خصلة من خصال التقوى ولا تتم إلا بها، وإنما أفردها الرسول ﷺ بالذكر الحاجة إلى بيانها لأن كثيراً من الناس يظنون أن التقوى هى القيام بحق الله دون حقوق العباد.

ولا شك أن المعاملة الطيبة للآخرين، والبشاشة فى وجوه الناس والصبر على آذاهم، وتحمل جهلهم وغضبهم، وما إلى ذلك من وجوه الإحسان إلى الناس من دعائم الإسلام وركائزه الأساسية التى لا تتحقق التقوى بدونها فهى علاوة على أنها ترسم للإنسان المسلم طريق التعامل الإسلامى مع الآخرين الذى ينبنى عليه قيام المجتمع الصالح فإنها سلوك كريم يسهم كثيراً فى إراحة الناس وتخفيف ما هم فيه من كروب وهموم ويؤثر فى الإنسان تأثيراً عظيماً، فيجعله ينسى حزنه ومتاعبه وينتقل به من ثائر حانق إلى إنسان وديع هادىء، بل قد يحوله من عدو إلى صديق، ومن كافر إلى مسلم.

وخير ما نهتدى به فى هذا الأمر سيرة رسول الله ﷺ العطرة التى تعكس أمامنا المثل الأعلى فى حسن الخلق وسعة الناس بالخلق الكريم ، فقد روى أنه ﷺ كان فى حرب فرأى العدو من المسلمين غرة ، فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف ، فقال من يمنعك منى ؟ فقال رسول الله ﷺ ، الله ، فسقط السيف من يد هذا الرجل ، فأخذه الرسول ﷺ وقال للرجل : (من يمنعك منى ؟) فقال الرجل (كن خير آخذ) فقال له الرسول ﷺ : (قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فقال : لا ، غير أنى لا أقاتلك ، ولا أكون معك ولا مع قوم يقاتلونك . فخلى رسول الله ﷺ سبيله ، فذهب الرجل إلى أصحابه ، فقال لهم : (قد جئتكم من عند خير الناس) .

ولهذا نجد الرسول ﷺ يقول موجها ومرشدا : (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق) ، ولهذا كان صاحب الخلق فى أقرب منزلة من رسول الله ﷺ يوم القيامة .

فعن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال : (ألا أخبركم بأحبكم إلى الله وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة ؟ قالوا : بلى ، قال : أحاسنكم أخلاقا)

وقد قال الشعبى فى تعريف حسن الخلق إنه : بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .

وقال الإمام أحمد : حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد ، وعنه أنه قال : حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس .

وفى مسند الإمام أحمد من حديث معاذ بن أنس الجهنى عن النبى ﷺ قال : أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتصفح عمن شتمك .

ولهذا نجد رب العزة يأمر نبيه محمداً ﷺ بقوله : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) .

وقد روى أنه لما نزلت هذه الآية قال الرسول ﷺ لجبريل — عليه السلام — ما تأويل هذه يا جبريل ؟ . فقال لا أدرى حتى أسأل العالم ، فصعد ثم نزل فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك وتصل من قطعك .

ولا شك أن هذه الأخلاق الكريمة أساسها حسن الخلق . فهذه الكلمة « حسن الخلق » تجمع كل خصال الخير وصفات البر . فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقا ، يخبرنا بذلك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا ، وخيارهم خيارهم لنسائهم) .

جعلنا الله من أصحاب الكلمة الطيبة والوجوه المستبشرة ، والأخلاق الحسنة التى يتحقق لأصحابها وعد رسولنا الكريم : (أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه) فذلك هو الفوز العظيم ، وغاية ما يتمناه المؤمنون المتقون .

ما يرشد إليه الحديث :

١ — أساس الإيمان تقوى الله ، ولذلك وجب ملازمة التقوى فى كل الأحوال .

٢ — للتقوى آثارها العظيمة فى إصلاح النفوس ، وتهذيبها وفى الحيلولة بينها وبين شهواتها وانحرافاتها .

٣ - على المسلم أن يلتزم بفعل الطاعات ، وأن يسارع إليها خاصة بعد الوقوع فى السيئات .

٤ - الصلوات تمحو الخطايا والذنوب .

٥ - المعاملة الحسنة والأخلاق الكريمة تزيل أثر المعاملة السيئة ، وتنزل صاحبها من النفوس منزلة كريمة فيعيش هانئاً سعيداً بحب الناس ، وفى رعاية من الله وأمنه .

وبعد . فهذا ما تيسر لى — من قطوف من مائدة المصطفى ﷺ — فى هذه الإطلالة السريعة ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى توضيح بعض هديه ﷺ حتى ينتفع به القارىء الكريم ويجد فيه بعض زاده الروحى الذى يعينه على نهج طريق الهدى والرشاد ، طريق السنة الراشدة التى من اتبعها فاز فى دنياه وآخرته . ومن تمسك بها كانت له هاديا بهديه ، ويعصمه من الزيغ والضلال

وأرجو أن يتهيأ لنا - فى الوقت القريب إن شاء الله — معايشة أخرى لهذه السيرة العطرة التى لا غنى للمسلم عنها حتى نكون دائماً تحت ظلال النور المحمدى وفى رحاب الهدى النبوى الشريف .

والله الموفق والمعين والهادى إلى أقوم طريق .

أ . د / حسن أحمد الكبير

عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق .

التصويب

الصفحه	السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٣	فإذا صار	فإذا تركه صار
٧	٢٥	مسند	مسنداً
٩	١٩	يبتعد	ويبتعد
١٣	٤	ميقتا	مقتا
١٤	١	يعدر	يغدر
١٥	٨	أضل	أفضل
١٧	٨	وقاتلي	وقاتل
١٨	١٠	عدر	غدر
١٩	٨	الفعل	المفعول
٣٦	١	تحملي	تحمل
٤١	٧	—	٦ —
٤٤	٢	« يغول »	« يقول »
٤٤	١٣	وعلاقة	وعلامة
٤٥	١٥	لاستعمال	الاستعمال
٥٢	١٢	« احذر »	« أحذر »
٥٥	٥	السلك	المسلك
٥٨	٢	أمو	أمور
٥٨	٦	محاربة الحسد	محاربة طبيعة الحسد
٦٠	١١	الحليفة	الخليفة
٦٤	٥	عباده	عبادة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٦	١٨	المنقولين	المتقولين
٨٣	١٠	بطيات	بطيبات
٨٦	٨	عله	عمله
٨٩	٥	معاونة إشارة	معاونة أو إشارة
٩٣	١٦	قد	فقد
٩٨	٢٠	عنلك	عنك
٩٨	٢١	عنلك	عنك
١٠٦	٥	ينفمه	ينفعه
١١٠	٨	موجو	موجز
١١٢	٣	للخطاب	الخطاب
١١٢	٧٠	لتظاهر	التظاهر
١١٣	١٧	بحله	بحاله
١٣٠	١٢	بها بهذا	بهذا
١٣١	٤	ثوورة	ثورة
١٣١	١٣	حرم أنه	حرم لذاته
١٣٤	الهامش	ص	ص ٥٠

فهرس الموضوعات

رقم الايداع ٧٩٣٢ / ١٩٨٦

مطبعة دار البيان بمصر
ت ٩١٦٨٣٢